د. شريف شعبان

يهود مصر القديمة

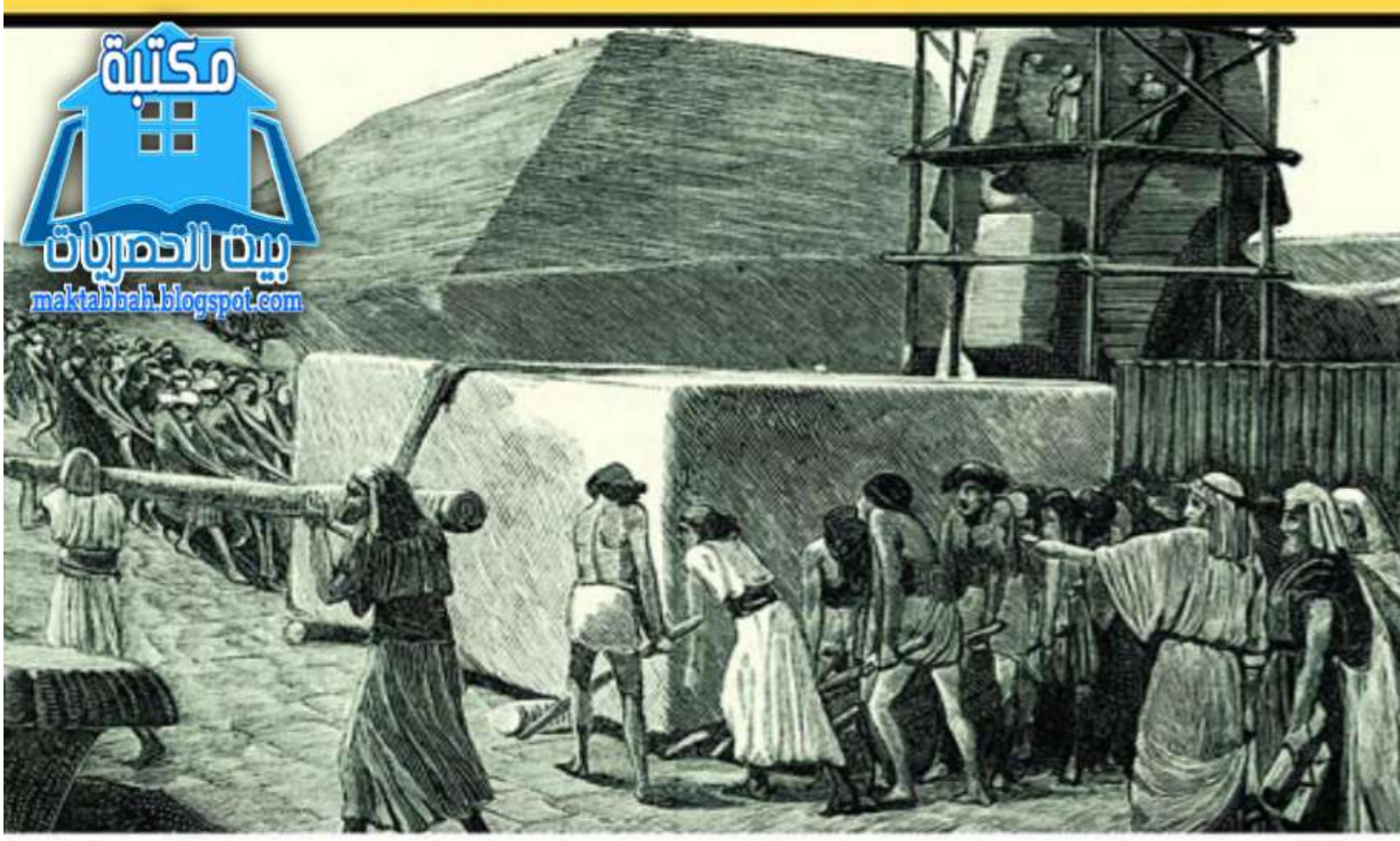

יהודי מצרים העתיקה

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com
www.maktabbah.blogspot.com

الرواق للنشر والتوزيع

مقدمة

لا توجد إشكالية في تاريخ البشرية مثلما كانت، وستظل، إشكالية تاريخ بني إسرائيل عامةً واليهود في مصر خاصة؛ فهي من الأوراق الشائقة التي لم يُلقَ عليها الضوء إلقاءً كافيًا، ربما نظرًا لطبيعتهم الغامضة. ومع ذلك فإن للوجود اليهودي في مصر تاريخًا طويلًا يمتد منذ العصور القديمة ما بين تآلف وتحالف تارةً وصدام وشتات وهروب تارةً أخرى.

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

فمن المآزق التي نتعرض لها في استعراض تاريخ أمة اليهود القديم: انحسار المصادر التاريخية والأثرية عنهم، فلا نجد ما يمدنا بمعلومات صحيحة سوى الكتب السماوية متمثلةً في استعراض عابر بالقرآن الكريم لتوضيح ما مرَّ به بنو إسرائيل من ضعف وتشتت، في مقابل ما تذكره أسفار العهد القديم وكتابات المؤرخين اليهود، أمثال يوسيفوس فلافيوس والفيلسوف السكندري فيلون من القرن الأول الميلادي، التي تذكر تاريخ اليهود بقدر كبير من المبالغات والتحيُّز، تضيع معه الحقيقة التاريخية. كما نجد تضاربًا ملحوظًا بين بعض أحداث القرآن الكريم وشخصياته وبين ما تسرده التوراة وما هو موجود من بقايا أثرية، وهو ما يصعِّب علينا وضع سرد منظم وترتيب منطقي للأحداث التاريخية.

منذ ظهور اليهود بالتاريخ القديم، وما إن وطئوا أرض مصر مع قبائل بني «يعقوب»، وهم على دوام الاحتكاك بالحضارة المصرية القديمة يحاولون نسخ كل إنجازاتها المعمارية والفكرية ويمارسون عادات المصريين، وأشهرها عادة الختان، التي كانت عادة مصرية قديمة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد؛ حيث رأينا أول مشهد ختان على جدران مقبرة «عنخ ما حور» بسقارة من الأسرة السادسة، بينما ينسبها اليهود إلى أنفسهم وجعلوها عادةً يتميزون بها عن أقرانهم.

ومع استعراض تاريخ بني إسرائيل في مصر، لم يكُن اليهود أبدًا جزءًا

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

من النسيج المجتمعي المصري؛ فدائمًا ما يحاولون الحياة داخل مجتمعات منفصلة وخلف أسوار عالية؛ لذلك لا نجد الوثائق أو السجلات الرسمية المصرية تذكر لهم أي نشاط ملحوظ أو دور مشارك في بناء الدولة المصرية القديمة سوى في فترات الاضمحلال والتدهور. وإن هذا لم يمنع تأثرهم الشديد بجوانب تلك الحضارة العريقة في عباداتهم وطقوسهم وحتى معاملاتهم اليومية، الأمر الذي استمر معهم بعد خروجهم من مصر ودخولهم تحت حكم دول أخرى؛ حيث نراهم يُسمُّون أسماء غير يهودية ويتقرَّبون إلى معبودات وثنية ويقدِّمون لها الأضاحي بجوار ربهم «يهوه».

وعلى الرغم من تقبُّل المصريين على مدار تاريخهم القديم للأجانب والوافدين، حيث إن الشخصية المصرية القدمية محبة للاحتكاك والتواصل مع الآخر، فإنهم وجدوا في اليهود أمة منغلقة لا تشارك في العديد من الأحداث المحورية للوطن الذي استضافهم أكثر من مرة في أوقات المحن والحروب. وهذا ما يفسِّر لنا الصدام المصري مع بني إسرائيل على مدار التاريخ القديم. كما أنه من ضمن التركيبة الشخصية لبني إسرائيل: ميلهم الدائم إلى الانزواء والعزلة ورفضهم الإقدام أو المواجهة، وهو ما ظهر في مراحل عدَّة من تاريخهم بمِصر القديمة، وهو ما جعلهم يُغالون في ادعاء العبودية ونشر البكائيات والمظالم التي وقعت عليهم من أهل مصر.

وقد استغل كثيرٌ من المؤرخين اليهود المحدثين تلك الندرة في المصادر والفجوة الكبيرة لوجودهم في تاريخ مِصر القديمة والاعتماد الكلي على كتابات المؤرخين الكلاسيكيين اليهود؛ وذلك لسرد تاريخ مغالط يجعل منهم ركائز للحضارة المصرية القديمة. والأخطر من ذلك هو الاعتماد الكلي على تلك النصوص الدينية باعتبارها مصادر تاريخية موثوقة، وهو ما يظهر جليًا في علم معاصر خطير، هو علم آثار الكتاب المقدس (Biblical archaeology)، حيث يحاول أنصار هذا العلم استخدام العهد القديم ركيزة معلوماتية ومصدرًا مقدسًا لترسيخ دور

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

بني إسرائيل التاريخي في منطقة الشرق الأوسط عامةً وفي مِصر القديمة خاصة، والكشف عن آثارهم بالمنطقة والترويج لفكرة اشتراكهم في بناء العمارة المصرية القديمة ومختلف نواحي الحضارة، ومنها: المطالبة بالأحقية في الأرض والتاريخ.

وتأتي الإشكالية الأكبر والأشهر في تحديد زمن دخول اليهود مصر واستقرارهم بها واشتراكهم في بناء أهرام مصر العظيمة، بل وخروجهم الأول منها بقيادة النبي «موسى» في حادث الخروج الكبير؛ فنرى محاولات لنسب انتصاراتهم على حساب ملوك مصر العظام أمثال تحتمس الثالث ورمسيس الثاني ومرنبتاح، الذين بنوا الإمبراطورية المصرية القديمة التي لم تغِب عنها شمس الشرق الأدنى ومحو دورهم في ريادة مصر للعالم القديم، في حين تميل أغلب البحوث الحديثة إلى كون اليهود قد عاصروا ذويهم من قبائل الهكسوس الشرقية المحتلة مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وعاشوا في كنفها، أي بعد عصر بناء الأهرام وقبل تكوين الإمبراطورية.

ومن هنا، جاء إصراري على أن أصدر هذا الكتاب بوصفه محاولةً جادة ومجهودًا مبذولًا لجمع أخبار اليهود وتتبُّع رحلتهم منذ نشأتهم ومع دخولهم أرض مصر ودورهم الحقيقي في الحضارة المصرية القديمة دون تزييف أو مغالاة، وسد الفجوات التاريخية التي يحاول البعض التسلّل منها لتصدير صورة تحمل مبالغات كبيرة، إما البطل التاريخي المغوار وإما العبد الذليل ضحية المصريين المتسلطين، وهما في حقيقة الأمر دوران متضاربان يستحيل وجودهما داخل نفسٍ بشرية واحدة، كما وجدت تقصيرًا في المكتبة العربية في تناول تاريخ اليهود تناولًا يسهّل على القارئ معرفة تلك الحقبة الحساسة والغامضة من تاريخ بلاده، فآثرتُ أن أقدّم هذا السرد كي يكون في ذهن كل مصري وعربي ليعرف دورهم الحقيقي وتكوينهم الاجتماعي والديني داخل حضارة مِصر القديمة دون تحيز أو تجنٍّ.

ولا يسعني إلا أن أشكر أستاذي الدكتور زاهي حواس عالم الآثار وزير

maktabah.blogspot.com

الآثار الأسبق شكرًا جزيلًا ووافرًا على اتاحته الفرصة لي في الاستعانة بمكتبته الزاخرة والاستفادة بكنوزها لإثراء هذا العمل.

وأتقدم بشكر خاص لأستاذي الدكتور أحمد فؤاد أنور أستاذ اللغة العبرية بجامعة الإسكندرية وعضو المجلس المصري للشؤون الخارجية على توصياته الهامة التي زادت من ثقل الشكل والمضمون، كما أقدم الشكر الوفير للصديقة بسنت الشامي على مساعدتها في مراجعة وإعداد صور الكتاب بشكل بديع، والصديقة إيمان عبد الحميد في مراجعة وقراءة الكتاب وإمدادي بالعديد من المعلومات الهامة.

د. شريف شعبان

أكبر مكتبة للكتب و الروايات المصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

متى ظهر اليهود في مصر لأول مرة؟

وَقَالَ الرَّبُّ لإبرام: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ». سفر التكوين (١٢: ١).

منذ أن اتحدت مملكتا مصر، الشمالية والجنوبية، أسفل راية واحدة وتحت تاج موحَّد خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، بدأت حضارة مهيبة رسَّخت آلاف السنين، وظهرت أسس الفكر والفن واللغة المصرية القديمة وإرهاصات العقيدة المصرية القديمة، متمثلةً في عقيدة الشمس مصحوبةً بالإيمان بالبعث والإحياء في العالم الآخر، وهو ما ظهر في مقابر ملوك مصر الأوائل البسيطة ذات الأثاث الجنائزي، وتطورت عمارة تلك المقابر حتى أصبحت أهرامات عظيمة بدايةً من هرم سقارة المدرج، وتحول إلى هرم حقيقي للملك «سنفرو» مع أوائل الأسرة الرابعة بدهشور، ثم الانتقال إلى هضبة الجيزة؛ حيث بنا أعظم أهرام عرفتها مصر بملحقاتها من معابد جنائزية ومدن عمالية.

وقد صاحب تلك النشأة الحضارية اهتمام كبير بإدارة الدولة ووضع نظام مركزي صارم يربط كل إدارات الدولة ببعضها، على قمتها الملك المصري الذي أصبح بمنزلة ظل الأرباب على الأرض ومنفِّذ إرادتهم، بل إنه كان الخصوبة المطلقة والازدهار الأمثل وحامي البلاد من الفوضى، وهو ما دفع الملك والدولة بالاهتمام الكبير بالجيش والتسليح وبناء نقاط تحصين وتفتيش وقلاع حدودية؛ حيث أصبح كل ملك يتباهى بحملاته التأديبية ضد القبائل الجنوبية والغربية البدائية البربرية التي تحاول التسلل إلى مصر فتنال من خيراتها وتقتات من فضلها، وأصبح كل ملك يطأ بقدمه الأقواس التسعة الرامزة إلى أعداء البلاد، فيسحقها بقوة لتفرَّ إلى مخابئها حيث أتت. وأصبح المجتمع المصري القديم يحمل مجموعة من القيم والمبادئ سار عليها طيلة حضارته، وتنامى لدى المصريين شعور بالزهو والتفرُّد لإيمانهم بقوة دولتهم واستقرارها وأنهم هم التحضُّر والمدنية في مقابل بداوة تلك القبائل المرتحلة

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة

www.maktabbah.blogspot.com

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com
والمغيرة.

وعلى الرغم من سقوط مصر في بئر الفوضى والاضمحلال مع نهاية الدولة القديمة؛ حيث تعاظَم دول حكام الأقاليم مع ضعف سيطرة ملك مصر وانتشار الجوع والفقر وتبدل حال طبقات المجتمع، فإنها سريعًا ما أفاقت من غفوتها، وتولى أمر البلاد مجموعة من أمراء الجنوب الذين أعادوا وحدة القُطرين وأسسوا لدولة قوية عُرفت بالدولة الوسطى مدَّت نفوذها عبر أطراف البلاد الشرقية والجنوبية واستمرت أكثر من ثلاثمائة عام.

*****

بداية الرحلة «إبراهيم» و«إبشا»

وسط تخوم بلاد الرافدين، ظهر النبي «إبراهيم» وعلى عاتقه رسالة ربه بتحويل قلوب الناس من التقرُّب للأصنام إلى عبادة الرب الواحد الأحد واتباع تعاليمه. وحسب النصوص التوراتية، فإن النبي «إبراهيم» أو «إبرام» هو أكبر البطاركة والآباء المؤسسين للعقيدة اليهودية. ومعنى اسم «إبراهيم» بالعبرية، حسب ما ورد في التوراة في سفر التكوين أبو الأمم، بينما يُنطق بالآرامية «أبا راحيما»، ويعني: الأب الرحيم أو الأب الحنون، كما اشتُق اسم «إبراهيم» من الاسم «إبرام» الذي يعني الأب العالي أو الأب الرفيع، باللغة الكلدانية. ويُرى أن «إبرام» و«إبراهام» مرادفان للشخص نفسه؛ حيث إن أحدهما أطلق عليه في موطنه ببابل والآخر حين وصل إلى كنعان.

ويُعتقد أن أصول النبي «إبراهيم» كانت من حوران بمملكة ميتاني شمالي الهلال الخصيب، حيث تلقى بها الوعد الإلهي، ثم هاجر إلى آور الكلدانية جنوب غربي الفرات ببلاد النهرين، وهناك مَن يعكس الرأي بقوله إنه وُلد في آور ثم انتقل إلى حوران، ومنها انتقل مرتحلًا إلى بابل ثم حران ببلاد الشام حتى استقر به الأمر في أرض كنعان عن طريق تدمر ثم شكيب، حيث تلقى الوعد الإلهي الثاني. وأيًّا ما كان

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

الرأيان، فقد عاش النبي «إبراهيم» حياة البدو الرحل وانتقل مع القبائل السامية من مكان إلى آخر، وارتحل من مدينة إلى أخرى دون أن يعرف هدفه أو وجهته، تنفيذًا لأوامر ربه دون جدال، واثقًا في مصيره عبر رحلته المحفوفة بالأخطار.

كعادة الطبيعة حين تغضب، تضرب المجاعة أرض كنعان فينذر القدر النبي «إبراهيم» بالرحيل من مكانه مرة أخرى، وكانت مصر الخصبة هي الوجهة المتحملة له، خاصة مع انتشار مراعيها الغنية وفيضان النيل السنوي المستمر. وكان هذا اختبارًا جديدًا لقوة إيمانه ومدى صبره وهو يرى مراعيه تتداعى وأغنامه تتضور جوعًا، فلم يتذمر أو يمل، وانطلق في رحلته الجديدة نحو مصر.

وما إن وصل إلى وادي النيل حتى أمر زوجته «سارة» بأن تُخفي صلتها به وتدَّعي أنها أخته، فتذكُر التوراة أنه إذا أخبر المصريين بأنها أخته أكرموه، وإذا قال إنها زوجته قتلوه. وبالفعل عندما وصل إلى مصر شيع بين أوساط الملك عن جمالها، فأرسل الملك قوة عسكرية وأخذت «سارة» إلى بيت الملك، وأغدق على «إبراهيم» بالخيرات والمواشي والحمير والجمال طمعًا في «سارة»، ولكن سرعان ما أصيب الملك وحاشيته بلعنة الجذام جرَّاء ما كان يريد فعله مع «سارة»، فأمر بطرد «إبراهيم» من مصر، لكنه لم يمنعه من حمل ما مُنح من عطايا.

* * * * *

متى وصل النبي «إبراهيم» إلى مصر؟

يعتقد البعض أن النبي «إبراهيم» قد وصل إلى مصر إبَّان الدولة الوسطى؛ حيث إنه هرب هو وقومه من المجاعة إلى دولة منظمة يمكن أن ينعم فيها بالاستقرار والخيرات، وليس فترة تفكك مثل عصر الاضطراب الأول الذي سبق الدولة الوسطى، فيربطون بين زيارة النبي «إبراهيم» لمصر وما ظهر على جدران مقبرة خنوم حتب الثاني ببني حسن بالمنيا، حاكم الإقليم السادس عشر من أقاليم مصر العليا، وهو

maktabah.blogspot.com

المنظر الشهير المعروف بزيارة إبشا؛ حيث أؤرخ هذا المنظر بالعام السادس من عصر الملك سنوسرت الثاني بالدولة الوسطى، وكان من المعروف وجود علاقات طيبة مستمرة بين قبائل الآسيويين ومصر، وكان ترحالهم إليها من كنعان مألوفًا متعارفًا عليه، ولكن كان الجديد هنا هو توغّل تلك القبائل في ترحالها حتى تصل إلى صعيد مصر وليس فقط الدلتا، وهو ما كان سبب فخر «خنوم حتب» ورغبته في تسجيل تلك الزيارة النادرة.

فعند زيارتك لتلك المقبرة، ألقِ نظرة نحو منتصف الجدار الشمالي، فسترى صفًا يمثل مجموعة من الآسيويين تتكوَّن من خمسة عشر شخصًا: ثمانية رجال وأربع سيدات وثلاثة أطفال يصحبون معهم حمارين وغزالًا ووعلًا، وعلى ظهر أحد الحمارين نجد أدوات للتعدين. ويتقدم منظر الجماعة موظف مصري يليه بطل المشهد: رئيس القبيلة، الذي يصفه النص الهيروغليفي المصاحب له بأنه «حاكم الصحراء إبشا». ويظهر «إبشا» حافي القدمين احترامًا لمهابة حضور «خنوم حتب»، وقد أمسك هو والرجل الذي يليه حيوانات الصحراء يقدمانها إلى «خنوم حتب الثاني». ويحمل الرجال القادمون مع «إبشا» بعض الأسلحة من سهام وأقواس، بينما حمل أحدهم قيثارة غير متناسقة الشكل، في حين يظهر على ظهر حمار آنية كحل. وقد ظهر أفراد القبيلة بزي مزركش ذي أهداب وشعر أشعث أسود غزير ولحى غير مهندمة، يرتدون نعالًا ذات سيور، أما النساء فكُنَّ يرتدين أردية طويلة مزخرفة تغطي إحدى الكتفين وتترك الأخرى مكشوفة. ويظهر إلى اليمين من المنظر صاحب المقبرة «خنوم حتب الثاني»، وأمامه وقف كاتبٌ ممسكًا برسالة تفيد حضور جماعة الآسيويين؛ حيث يطل رئيسهم كما كتب أمام رأسه بالمصرية «حكا خاست»، بمعنى «حاكم البلد الأجنبي» التي أصبحت فيما بعد في صيغة الجمع «حكاو خاسوت» بمعنى «حكام البلدان الأجنبية» أو «الهكسوس». أما النص المصاحب للمنظر فيمكن قراءته: «الكحل الذي جلب من أجله بواسطة

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

سبعة وثلاثين من (العامو)».

وما يثير الانتباه هو أن المصريين القدماء كانوا يضعون عقوبات صارمة لجريمة الزنا، مثلما ذُكر في إحدى قصص بردية وستكار؛ لذلك كان من الصعب أن يقوم ملك مصر نفسه بما يجرمه القانون وتلعنه المعبودات، وهو ما يكشف عن تضارُب التوراة، كما أنه عندما نعيد النظر إلى منظر «إبشا» مع ربطه بالنبي «إبراهيم» نجد أن قدوم القبائل الآسيوية كان على ظهر حمير وليس جِمالًا؛ حيث إن الجمال لم تظهر في مصر سوى في القرن الثالث قبل الميلاد، وهو على عكس ما ذُكر في التوراة من إهداء ملك مصر لـ«إبراهيم» مجموعة من الجمال؛ لذا فإن النبي «إبراهيم» لم يأتِ إلى مصر بحثًا عن الطعام والمؤن فحسب، لكنه قد قدم لغرض مناظرة كهنة مصر ونشر رسالته السماوية، بعد ما وجد من تلك الأقوام التي تحكم مصر من فساد واستبداد وسفك دماء وانتشار للرذائل، وسمع عن حكمة الكهنة وجدالهم في أمر الرب. كما أنه كان قد تكلم بلغة يجيدها أهل القبائل التي استوطنت مصر قادمةً من كنعان، وهو الموطن نفسه الذي جاء منه النبي «إبراهيم» وليس لغة المصريين القدماء؛ لذلك يبدو أنه قد قدم إلى مصر مع نهايات الدولة الوسطى وبدايات عصر الهكسوس، أي: نهاية وجود الدولة القوية وبدايات الانهيار السياسي والأمني، حين تحوَّلت الإدارة المصرية إلى أقاليم وإقطاعيات منفصلة وانتشرت الفوضى وعدم الانضباط على الحدود المصرية.

وعلى الرغم من تلك الإقامة السريعة داخل مصر، التي لم تزِد على ثلاثة أشهر، فإنَّ الرب قد نبَّأ «إبراهيم» بأن قومه سيأتون إلى مصر وتُكتب عليهم الذلة والمسكنة أربعة قرون.

*****

«يوسف»... من البئر إلى القصر

«وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ فَكَانَ رَجُلًا نَاجِحًا، وَكَانَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ

المِصْرِي». سفر التكوين (٣٩: ٢)

يبدو أن أول مَن أسس تجمعًا عبرانيًا في مصر كان يوسف بن يعقوب النبي، حين وطئت قدمُه أرض مصر وبشكل قدري غير مقصود، بعدما وصل إلى منصب الرجل الثاني بعد الملك، ودعا أباه وإخوته من كنعان إلى الإقامة في مصر إبَّان عصر الهكسوس.

ويعني اسم «يوسف» بالعبرية: «دعه يَزِد» أو «يزيدني الرب» وتُنطق «يوسيف»، وهو الابن الحادي عشر لـ«يعقوب» النبي وبِكر زوجته «راحيل»، حفيد إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام. وقد عاش أبوه «يعقوب» مغتربًا مدة طويلة في رام بمدينة حران على أحد أفرع الفرات هربًا من أخيه الأكبر «عيسو» كما تزعم التوراة بعدما سرق منه بركة أبيهما «إسحاق» ـ البكورية ـ التي كانت تُمنح للأخ الأكبر، حيث الزعامة ونصيب أكبر في الميراث والبركة الإبراهيمية. وبعد عشرين عامًا من الاغتراب والهرب، عاد «يعقوب» مرة أخرى إلى كنعان، أرض أبيه. وقد تزوَّج النبي «يعقوب» أو «إسرائيل»، كما تسميه التوراة، من ابنة خاله «لابان» وأنجب منها اثني عشر ولدًا هم الأسباط وبنتًا واحدة تُدعى «دينا». ولأن «يوسف» كان الابن المدلل لأبيه وأصغر أبنائه حين جاء مع شيبته وكان شديد القرب لأبيه، أضمر الإخوة له البغضاء والكراهية وقرروا الخلاص منه بإلقائه في البئر، حينها عثرت عليه إحدى القوافل الإسماعيلية وباعوه لحساب أحد كبار موظفي مصر.

عاش «يوسف» في قصر سيده خصي الفرعون، ويُدعى «فوطيفار»، أو «فوطي فا رع»، كما وصفه سفر التكوين، بينما سُمي في القرآن الكريم «العزيز». ولم تعرف مِصر القديمة لقب «العزيز» الذي ذُكر في القرآن الكريم باعتباره لقبًا حكوميًا أو رسميًا، أو كونه لقبًا مشتقًا من لقب مصري قديم. بينما يذكر لنا المؤرخ المصري مانيتون لقب أحد رؤساء قبائل الهكسوس وهو «أسيس»، الذي يمكن أن نقارنه لغويًا بكلمة «العزيز». وعلى الرغم من ذكر التوراة وظيفة الخصي بأنه رئيس

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

الشرطة، فإن السياق التاريخي دل على كونه متحكمًا في الموارد الزراعية والحالة الاقتصادية للبلاد.

وبين أروقة بيت «فوطيفار»، أو العزيز، حدث اللقاء الذي غيَّر مسار حياة النبي «يوسف» للمرة الثانية، حين يقابل «يوسف» زوجة «فوطيفار» فتفتتن به وتحاول إغواءه، لكنه يرفض ويستعفف ويهرب منها، فتقطع قميصه من الخلف وتستنجد بزوجها، فيأمر بالزج به إلى السجن.

وتذكر التوراة حالة رئيس الشرطة بأنه خصي، تلك الحالة التي كان يتم حرمان صاحبها من قوته الجنسية، وهو ما دفع زوجته في أن تفتن بالشاب الوافد إلى قصرها. وقد انتشرت عادة الإخصاء بين الأوساط العليا للبلاط الملكي ببلدان الشرق الأدنى، وهي عادة لم تكن معروفة لدى المصريين القدماء، الذين كانوا يرجون زيادة الخصوبة وانتشار الذرية.

وداخل قاع السجن المظلم، قابل «يوسف» النبي اثنين من المساجين، اتَّهما بالتآمر على الملك، أحدهما كان كبير سقاة الملك، والآخر كبير خبَّازيه، وحُكِم عليهما بالسجن بعد محاولة لاغتيال الملك عن طريق السم. وما إن تعرَّفا إلى «يوسف» حتى توسَّما فيه الصلاح والفطنة، فقصَّ كلٌ منهما عليه رؤيا مُقبِضة، فبدأ رئيس السقاة بأنه رأى كرمة عنب من ثلاثة قضبان يعتصرها في كأس الفرعون، في حين تلا الآخر رؤياه بأنه رأى ثلاث سلال على رأسه وفي كل سلة الطعام الذي كان يصنعه لفرعون تأكل منه الطير. وكان تفسير «يوسف» للرؤيين هو أن كبير السقاة كان مظلومًا وسوف ينال سراحه بعد ثلاثة أيام، بينما سيقطع «فرعون» رأس كبير الخبازين خلال ثلاثة أيام ويُعلَق على خشبة ويأكل منه الطير. وصدقت الرؤيا حين ثبتت براءة كبير السقاة بأن السم قد دُس في الأكل وليس في الشَّراب، حينها تمت تبرئته وحُكِم بإعدام كبير الخبازين.

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

الرؤيـــا والمجاعـــة

بعد أعوام من سجن «يوسف»، وفي إحدى الليالي، أصاب الملك اثنتان من الرؤى أزعجتاه وأرقتا منامه، إحداهما هي سبع بقرات سمان على شاطئ النهر تأكلهن سبعُ بقرات قبيحات، أما الرؤيا الثانية فهي سبع سنابل طالعة سمينة وحسنة تأكلهن سبع سنابل رقيقة نابتة. جمع الملك حكماء القصر وكبار العرَّافين لتفسير تلك الرؤيا، لكن جميعهم فشلوا في التفسير. حينها تذكَّر كبير السقاة، الذي كان ضمن الجمع، ما قاله له «يوسف» في السجن من تأويل رؤياه التي كانت إشارة إلى براءته. فاستدعى الملك «يوسف» من السجن وتلا عليه رؤياه فأجابه ببراعة: سوف تأتي سبع سنين شبعًا يتلوها سبع سنين جوعًا وقحطًا، واقترح أن يعيِّن الملك شخصًا يجمع الفائض في سنوات الشبع ويخزنه لسنوات الجوع.

ومن المعلوم مهارة المصريين القدماء في تفسير الأحلام، وهو ما ذُكر في كلٍّ من سفر التكوين في التوراة وفي سورة «يوسف» في القرآن الكريم؛ حيث التجاء ملك الهكسوس للعبراني كي يفسر له حلمه المزعج الذي فشلت فيه كل حاشيته، فإذا كان ملك مصر ذا أصل مصري فما له أن يستعين بعبراني كي يفسِّر له حلمه، بينما هو إثبات آخر على أن الملك كان من قبائل الهكسوس الذين يجهلون مهارة تفسير الأحلام، ومنعهم جبروتهم من الاستعانة بمصري من أهل الدولة التي استعمروها وفضَّلوا اللجوء للمهاجر العبراني، وهو النبي «يوسف».

أما السجن الذي سكن فيه النبي الكريم، فلا يوجد أي دليل أثري على وجوده سوى أنه بالقرب من قصر العزيز أو «فوطيفار» بـ«أواريس»، عاصمة الهكسوس، إلا أن بعض الأقاويل الشعبية تصف وجوده بمنطقة سقارة في مكان أصبح مغطًى أغلبه بالرمال بجوار هرم الملك «زوسر»، وهو ما جعل كثيرون يربطون بين النبي «يوسف» وبين الملك «زوسر»، خاصَّةً مع حدوث مجاعة كبيرة في عهد كليهما7؛ لذا فإن

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

كثيرًا من العامة من أهل منطقة سقارة يعتبرون منطقة سجن النبي «يوسف» مكانًا مباركًا لأن الوحي زاره أكثر من مرة داخل السجن.

*****

الوصول إلى العرش

ما إن صدقت رؤيا «يوسف» للملك، حتى أمر بتعيينه على خزائن الدولة لمَّا رأى منه الحكمة والنبوغ، وأصبح من صلاحيات «يوسف» الإشراف على خزائن الزروع وتصريف المؤن، بل وصل به الأمر إلى منحه أختامه، وحصل على لقب «صنعات فعنيح»، وهو اللقب الذي ذُكر في التوراة وبه بسط سيطرته على موارد البلاد الاقتصادية كلها، وتزوَّج بـ«أسنات»، ابنة «فوطيفار»، حيث تذكر بعض التقاليد اليهودية أنها عند زواجها بـ«يوسف» هجرت ديانتها الوثنية وأصبحت متعبدة لـ«يهوه». أما مصير «فوطيفار» فظل مجهولًا، إما أن الملك عزله من منصبه وأسنده إلى «يوسف» وإما أنه مات كمدًا بعدما تأكد من خيانة زوجته.

وكان دخول قبائل رعوية، كبني إسرائيل، داخل حدود مصر بقدرٍ من السهولة، بالإضافة إلى ترقي أحد الأجانب، مثل النبي «يوسف»، إلى منصب كبير الخزانة المصرية، وهو ما لم يكُن ليحدث في عصر دولة مصرية قوية كالدولة الوسطى بأسرتيها الحادية عشرة والثانية عشرة؛ حيث كانت تشدَّد على حركة دخول الحدود المصرية والخروج منها، بالإضافة إلى احتكار المناصب العليا للدم المصري؛ لأن المصري القديم كان ينظر إلى الأجانب والقبائل الرعوية نظرةً دونية؛ لأنهم أقوام يفتقرون إلى المدنية المصرية، لكنه تم خلال فترة اضطرابات جسيمة تُعزى إلى فترة حكم الهكسوس.

تذكر لنا التوراة أن «يوسف» كان يركب في عربة «فرعون» الثانية باعتباره نائب الملك، ووجود تلك العربة في أغراض سلمية بجانب كونها سلاحًا عسكريًّا أشبه بسلاح المركبات أو المدرعات المعاصر،

maktabah.blogspot.com

يتأكد مع كونها جاءت إلى مصر على يد الهكسوس، وهم أول مَن استخدموها في المناسبات الرسمية؛ حيث إن العربة الأولى من نصيب الملك، بينما كانت الثانية من أجل نائبه.

وكان وصول الوزير «يوسف» إلى ذلك المنصب الرفيع لا بُدَّ من أن يُذكر في أغلب الآثار المصرية، سواء أكانت المنقوشة على حجر أم المكتوبة بالمداد على البردي، خاصَّةً مع قيامه بعمله البطولي في حماية البلاد من المجاعة، ولكن طمس هذا الذكر يتماشى مع فترة حكم الهكسوس الغامضة ودمار أغلب آثارهم بعد حرب التحرير التي شنها الملك «سقنن رع» ومن بعده أولاده «كآمس» ثم «أحمس»، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة فيما بعد.

*****

اللجوء الأول

بدأت السنوات السبع السمان، وكانت الأرض تمنح غلة كثيرة ومياه النهر متوافرة بغزارة، وكل عود من القمح يأتي بسنابل مليئة الحبوب، فأمر «يوسف» ببناء المخازن في كل أنحاء البلاد وعيَّن عليها حرسًا. وبعد سنوات الخير، جاءت السنوات العجاف وقلَّت الأمطار وجف النهر عن عطائه، ولم يجتَح الجفافُ أرضَ مصر وحدها، بل عصف بأرض كنعان وعمَّت المجاعة بلاد الشرق، فذبلت المراعي ونضبت المياه وضعفت المواشي.

قدم «يعقوب» وبنوه إلى مصر بدعوة من ابنه يوسف الصديق، بعد أن ضاق بهم الحال وانتشر القحط والمجاعة في أرضهم، فقد جاء مع «يعقوب» ست وستون نفسًا ووقفوا عند أعتاب قصر الملك يلتمسون منه السكن والمرعى، فاستقبلهم «يوسف» أحسن استقبال على الرغم مِمَّا فعله إخوته فيه صغيرًا، وطلب من الملك حسن رعايتهم ومنحهم ما سألوا، فأمر الملك بإقامتهم في أرض جوشن أو جاسان ذات المروج الواسعة والأرض الخصبة كثيرة المرعى للقطعان والمواشي. وكانت

تلك الأرض مجاورة لـ«أواريس» التي ضمت مقر حكم الملك وقصره في الجنوب منها، ومعه نائبه «يوسف»، كما كانت محمية طبيعية منعزلة عن بقية أراضي مصر، حيث تحدها قناة سيزوستريس، التي شُقت في عهد سنوسرت الثالث من ملوك الدولة الوسطى، من جهة الشمال، والبحيرات المرة من الشرق والغرب، وبقية فروع النيل من الجنوب. وقد اختار «يوسف» تلك البقعة لأبيه وأهله لأنها صالحة لنشاط الرعي الذي كانوا يمارسونه من قبلَ في كنعان، فما إن استقر بها بنو إسرائيل حتى أصبحوا من ذوي الأملاك والأطيان وكثرت أموالهم وزادت مواشيهم وعاشوا في رغد من العيش.

وفي مقابل تلك الحياة الرغدة التي عاشها بنو إسرائيل في مصر، عانى أهل مصر الفقر والشح والمرض، فأصبحوا يبيعون ما يملكون من أراضٍ ومواشٍ نظير مكاييل من الفضة ومؤن للحياة. وكان لموقع جاسان المعزول أن جعل بني إسرائيل يبتعدون بحياتهم وأغنامهم وممتلكاتهم ويحتمون بها عن بقية أهل مصر الذين لم يرحّبوا برعاة الغنم والمواشي، فكانوا يرون فيهم قبائل رعوية غير متحضِّرة في الوقت الذي اهتم فيه المصريون بالزراعة والاستقرار.

أقام «يوسف» النبي مأدبة كبيرة تكريمًا لأخيه «بنيامين»، وكان من كرم النبي وذكائه أنه لم يجعلها مأدبة واحدة، بل ثلاثًا: واحدة خاصَّة به وحاشيته، وأخرى لإخوته، وثالثة للمصريين. فكان هذا هو أول لقاء مباشر بين المصريين وبني إسرائيل. ولمَّا كان بنو إسرائيل في نظر المصريين مجرد رعاة غنم، فقد أنفوا أن يأكلوا معهم من الطعام نفسه واعتبروا أن مجرد الأكل معهم هو رجس لا يليق بهم، على الرغم من المعاملة الحسنة التي لاقوها من «يوسف»، فآثر أن يسترضي كلا الطرفين دون وقوع أي مصادمات.

وكانت المصادمات بين المصريين والهكسوس الرعاة دائمة الحدوث طيلة فترة الاحتلال، حينها أصبح من الممكن أن يعضد وجودُ رعاةٍ جدد كبني إسرائيل وجودَ حكم الهكسوس في مواجهة أهل البلاد

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

الأصليين، وزرع ذلك أول بذرة كُرْهٍ داخل أفئدة المصريين تجاه بني إسرائيل الرعويين القاطنين في كنف المحتلين الهكسوس.

عاش «إسرائيل» في أرض مصر سبع عشرة سنة وبلغ من العمر مائة وثلاثين سنة، وعندما شعر بقرب الأجل دعا ابنه «يوسف» كي يعطيه العهد، فوضع «يوسف» يده تحت فخذه وطلب من ابنه ألا يُدفن في مصر، بل أن يضطجع بجوار آبائه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها جده «إبراهيم» بكنعان، وأمره أن يبتعد عن عبادات المصريين الوثنية. حينها أمر «يوسف» بتحنيط جثمانه على الطريقة المصرية، مايدلّ على تسامح المصريين في عقائدهم مع بني إسرائيل وعدم احتكارها على أنفسهم، مثلما نصّ على ذلك سفر التكوين، وهو ما ينفي سخرة بني إسرائيل وسوء معاملتهم كعبيد. وسار في موكبه من مصر إلى كنعان عبيد الملك وشيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر، كما انطلق بمركبات وفرسان كأنه جيش عظيم يودعونه إلى مرقده الأخير.

*****

مومياء النبي بالمتحف المصري

يعتقد بعض العلماء خطأ أن النبي «يوسف» قد عاش في عصر الدولة الحديثة، خاصّة الملك «أخناتون»، وأن «يويا»، جد «أخناتون»، هو نفسه النبي «يوسف»، كما أن «فوطي فارع»، الذي عاش «يوسف» في قصره، هو الملك «أمنحتب الثاني»، وهو الذي حاولت زوجته إغواء «يوسف»، ما تسبَّب في حبسه، قبل أن يفسّر الحلم للملك ومن ثم يُكافأ بالإشراف على خزائن مصر، وبعد وفاة الملك تولى ابنه «تحتمس الرابع» الحكم، الذي عيَّن «يوسف» وزيرًا له، إلا أن «تحتمس الرابع» توفي سريعًا وهو لم يبلغ الثامنة والعشرين من عمره، ليتولى من بعده ابنه «أمنحتب الثالث»، وفي تلك الفترة أصبح سيدنا «يوسف» (أو «يويا») من أهم رجال الدولة، حيث تزوج الملك بابنته «تي» وعيَّنه وزيرًا ومستشارًا له والمسؤول الأول عن شؤون الدولة بعد الفرعون،

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

كما أطلق عليه لقب «والد الفرعون»، وهو اللقب نفسه الذي ورد في سفر التكوين بالتوراة، حيث أطلقه ملك مصر على النبي «يوسف» حيث اعتقد أن الملك قد منح «يوسف» خاتمًا بعدما نجح في تفسير حلمه وعجلة حربية وعقدًا من الذهب الخالص، وهو ما عُثر عليه في مقبرة «يويا». كما اعتمد البعض في نظريته على التشابه اللفظي بين «يوسف» و«يويا» نظرًا لأن كليهما ليس اسمًا مصريًا وإنما من أصل عبراني، بالإضافة إلى تحليل مومياء «يويا» بالمتحف المصري بالقاهرة، أثبت أنه ذا أصل آسيوي وليس مصريًا، كما أنه مات عن عمر ١١٠ أعوام، وهو العمر نفسه الذي حددته التوراة لوفاة النبي «يوسف».

ولكن عند نقد تلك النظريات، يتضح أن التوراة تقول صراحة: إن «يوسف» طالب أهله عند مماته بأن يحفظوا جثمانه وينقلوه معهم عندما يحين وقت خروجهم من مصر، وهو ما فعله النبي «موسى» بعدها بعدة قرون، أي أن جثمان «يوسف»، طبقًا للتوراة لم يبقَ مدفونًا بمصر، بينما ظلت مومياء «يويا» في مصر آلاف السنين حتى عُثر عليها بمقبرته رقم KV ٤٦ في وادي الملوك عام ١٩٠٥، لتُنقل مع محتويات مقبرته إلى المتحف المصري بالتحرير. كما أن لقب «والد الفرعون» لم يطلق على «يويا» وحده، بل أطلق على غيره من الشخصيات ذات الأهمية والمكانة العليا في التاريخ المصري القديم، ما يعني أنه لا يمكن الاستناد إليه كدليل على أن «يويا» هو ذاته «يوسف».

*****

الهكسوس هم اليهود!

دخلت جماعات الهكسوس إلى مصر نتيجة تسلل متتابع وهجرات متتالية من قبائل مرتحلة قادمة من الشام تبحث عن الاستقرار والمؤونة واستقروا على شكل جماعات شرقي الدلتا وبدؤوا في السيطرة عليها، مثل تل الضبعة وصفط الحنا وتل اليهودية وقنتير، واستغرق هذا الزحف نحو خمسين عامًا. ومع ضعف حالة مصر

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

السياسية والإدارة وكون الحروب الأهلية تقطع أوصالها وزادت بها الانقسامات الداخلية وتبعتها أزمات اقتصادية واجتماعية طاحنة، تصاعدت قوة تلك القبائل من السيطرة على الأوضاع والمناصب حتى نجحوا في احتلال أرض مصر بالدلتا، وامتدوا بقوتهم حتى بلغوا حدود طيبة واستولوا على زمام البلاد بالقوة وسيطروا عليها طيلة تسعين عامًا، عانى فيها المصريون الشقاء والفساد والاضطهاد وسرقة مقدرات البلاد.

وكانت أغلب المعلومات حول تلك الجماعات الرعوية المتسللة مستقاة من كتابات المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» من القرن الأول الميلادي، الذي ادَّعى أن كلمة «هكسوس» تعني «الأسرى الرعاة»، وهم بنو إسرائيل؛ حيث أراد أن يبرهن على أن اليهود والهكسوس هم عنصر واحد، وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالي ألف سنة، وهو ما عرفناه من كتابه «ضد أبيون»، الذي يحاول فيه الدفاع عن بني جنسه اليهود ضد الإغريق، فيذكر «يوسيفوس» أن كل الدلائل تشير إلى أن خروج «موسى» وبني إسرائيل من مصر بسبب طرد الهكسوس لهم من البلاد، ولكن ليس هناك من البرديات أو البقايا الأثرية ما يؤيد مثل هذا الادعاء. وكان كتاب «ضد أبيون» قد تعرَّض للفقد ولم يتبقَّ منه سوى فقرات قليلة، كما أن هذه الفقرات أو الاقتباسات التي بقيت لنا قد كُتِبت بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو ١٣٠٠ سنة تقريبًا، ما يجعل نصوص «يوسيفوس» غير دقيقة ويشوبها التعصب وقلة الالتزام التاريخي.. وعلى ذلك، فإننا لا نعتمد على هذا المصدر اعتمادًا أساسيًّا لما فيه من مغالطات وتحيزات واضحة.

ولم يعبّر المصريون القدماء بلفظٍ محددٍ عن جماعات رعوية بعينها، لكنهم أطلقوا على تلك الجماعات المرتحلة عدة ألفاظ، مثل: «عامو» و«منتيو» و«رنتيو»، بالإضافة إلى مصطلح «حقاو خاسوت»، أي: حكام البلاد الأجنبية، الذي حُرِّف إلى كلمة الهكسوس، على عكس ما ادَّعى «يوسيفوس» في تفسيره. ويرجِّح العلماء أن العبرانيين كانوا

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

جزءًا من تركيبة الهكسوس وليسوا هم الهكسوس؛ حيث إنهم كانوا على صلة وثيقة بجماعات مختلفة ورد ذكرها في الكتابات القديمة مثل كتابات بلاد النهرين وألواح العمارنة يسمون «العابيرو» (العبيرو) أو «الخابيرو» أو «الإخلامو».. وتبعًا لهذا المفهوم أيضًا، فإن العبرانيين لا يمثلون عرقًا أو جنسًا من الأجناس بقدر ما يمثلون جماعات مختلطة من شعوب آسيوية سامية، على أن العبرانيين لم يقتصر نسبهم على بني إسرائيل كما هو شائع الآن خطأ؛ فبنو إسرائيل الأوائل، وعلى رأسهم «يعقوب» نفسه، يُعدون من العبرانيين، بل إن أباه «إسحاق» وجدَّه «إبراهيم»، عليهما السلام، يُعدان تبعًا لهذا عبرانيين، ولم يمثل بنو إسرائيل إلا فرعًا صغيرًا من العبرانيين، ثم لم يلبث اليهود بعد ذلك أن نسبوا أنفسهم للعبرانيين دون غيرهم. ومن هنا نعرف أن بني إسرائيل جاؤوا خلال حكم الهكسوس كجماعات مختلفة وتعاونوا معهم، لكنهم لم يكونوا هم الهكسوس.

*****

اليهـود والأهـرام

دعونا نعُد بالزمن بضع سنوات، بل بضعة قرون، حيث عام ٢٩٠٠ ق.م، وهو عصر بناة الأهرام، حين صعد الملك «خوفو» إلى عرش مصر وقرر أن يحذو حذو أبيه وأجداده في بناء مستقر خالد له للعالم الآخر، فذهب مع كبير مهندسيه «حم إيونو» واختار بقعة سحرية بهضبة الجيزة لينشئ عليه مشروعه العظيم، فكان بناء الهرم الأكبر. ولم يكُن مشروع بناء الهرم مجرد فكرة حكومية فحسب، لكن البلاد كلها شاركت فيه؛ حيث اشتركت عائلات كبيرة في تقديم أبنائها كفنانين وصناع مهرة وملاحظي عمال وكتبة، ضمن فرق بناء الهرم، بينما اكتفت بعض العائلات بتقديم الطعام والشراب والعمال.

ومن بين الخرافات المتعلقة بالهرم الأكبر: تلك الخرافة تلك التي تقول إن الهرم الأكبر قد بُني بالسُّخرة، وهو أمر مغلوط تمامًا.. فكان مشروع

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

بناء الهرم بمنزلة قوة اجتماعية هائلة مع بدايات تلك الأسرة. ومع انتشار الفيضان تقف الحياة في الأرض الزراعية، وهو ما دعا الملك إلى اعتبار بناء الهرم مشروعًا لمحاربة البطالة، فعمل على جمع الشباب المجندين من القرى الزراعية البعيدة للعمل، فكانوا يُجلبون بعيدًا عن عائلاتهم ويسافرون إلى الجيزة، ثم يعودون محملين بأحدث الأفكار والأنماط من العاصمة الملكية.

من أشهر الادعاءات التي تربط اليهود بالحضارة المصرية القديمة: ارتباطهم ببناء الهرم الأكبر، بل وأنهم أصحاب الفضل الحقيقي في قيام العمارة المصرية القديمة بعد قرون عاشوها بين المصريين في ذل وسخرة، اعتمادًا على ما ذُكر في سفر الخروج: «(١٣:١) فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف (١:١٤) ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين وفي كل عمل في الحقل، كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفًا». بينما انبرى المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» في التأكيد أن قومه قد تعرَّضوا للسخرة في بناء الهرم قائلًا: «لكي يستمتع المصريون بحفر عدد عظيم من القنوات على النهر، ولكي يبنوا الجدران لمدنهم، فإنهم لا يتوَّرعون عن تحويل مجرى النهر وتحويل مياهه، كما استغلوهم أيضًا في بناء الأهرام».

ولكن مع مقارنة التواريخ المختلفة لوجود اليهود في مصر، يتضح لنا أن مع بني إسرائيل مصر بصحبة النبي «يوسف» في عهد الهكسوس كان في عام ١٦٥٠ ق. م، في حين شُيِّدت أهرام الجيزة خلال الدولة القديمة في عام ٣٢٠٠ ق. م، أي أن الفارق الزمني بينهما أكثر من ١٥٠٠ سنة، أي أن تشييد الأهرامات قد حدث قبل أن يظهر بنو إسرائيل على أرض الشرق الأدنى.

كما توضِّح آيات سفر التكوين أن بني إسرائيل سُخِّروا في بناء مدينتي «رعمسيس»، و«فيثوم»، اللتين شُيدتا من الطين أو الطوب اللبن المخلوط بالتبن، وهي الصنعة التي احترف بنو إسرائيل البناء بها، ولم يعرفوا البناء بالأحجار، ولم يرد استخدامهم الحجارة في البناء، سواء

maktabah.blogspot.com

في أهرامات أو مقابر ملكية أو أبنية حجرية أو غيرها، كما أن نقاط تجمعهم كانت في منطقة الدلتا أو في أسوان التي تبعد كيلومترات عن منطقة الجيزة وسقارة التي بُنيت فيها الأهرامات.

ولمَّا خرج بنو إسرائيل من مصر رحلوا بكامل ثرواتهم وعلومهم وخبراتهم في البناء والتشييد واستقروا في بلاد الشام وأسسوا مملكة إسرائيل الموحدة على يد النبي «داوود» ومن بعدها مملكتي «إسرائيل» و«يهوذا»، فلماذا لم يبنِ بنو إسرائيل مثل تلك الأهرام ولو بشكل مصغر في مملكتيهم بعد خروجهم من مصر؟! حيث إننا لم نعثر على أثر لأي هرم في منطقة الشام يدل على وجوده، على عكس ما رأينا من أهرام ترجع للحضارة الكوشية في مدن نبتة ومروى ونوري، جنوبي مصر، التي وصل عددها إلى نحو ٣٥٠ هرمًا تأثّرًا بالعقائد المصرية القديمة على الرغم من اختلافها في الحجم.

وكان الاكتشاف الذي عَثر عليه زاهي حواس عام ١٩٩٠ هو أكبر دليل على بطلان جميع تلك الادعاءات، وهو عثوره على مقابر العمال بناة الأهرام؛ حيث الكشف عن بقايا المدينة التي عاش بها الفنانون والمشرفون الدائمون والتجمع الملكي الذي ضم إقامة العمال المؤقتين بالإضافة إلى الجبانة الواسعة التي دُفن بها بناة الأهرام. كما عثر على بقايا مصنع جعة بجواره عثر على آلاف من كسرات الفخار وأواني خبز وطين محروق ورماد طمي يحدد المنطقة بأنها كانت مخبزًا. ويبدو أنه كان هناك نوعان من العمال ما بين مستديمين ومؤقتين، فكان العمال المؤقتون القادمون من الأقاليم والفلاحون المحليون القادمون من الجيزة للعمل أسبوعيًا يسكنون داخل أروقة طولية تتضمن أرصفة للنوم مصنوعة من الطوب اللبن ومباني أخرى لسكن العمال المستديمين.

ويضم تجمُّع الجيزة عددًا من المخابز والورش، بالإضافة إلى مبنى كبير يتضمَّن مخازن الغلال ومخازن أخرى. وكان لا بُدَّ من توفير قدر كبير من الغذاء بإطعام العمال، وكان الخبز، الذي عُثر على أرغفة منه لا

maktabah.blogspot.com

حصر لها بكل أنحاء الموقع، يُعد العنصر الرئيس لغذاء العمال، كما كانت الجعة المشروب الأساسي لهم. وبالإضافة إلى الخبز والجعة، كان يُمنح العمال قطعٌ من الثوم والبصل. وربما كان الطعام اليومي (كحصة الغذاء) نتيجة لكمٍّ عظام الأسماك المتراكم بصالة الأعمدة، الذي يدل على أنهم كانوا يأكلون الأسماك التي تُصاد من شاطئ النيل المجاور. وكان أشهر أنواع الأسماك بمنطقة الجيزة: السمك البلطي؛ فقد عثر بمربع حفائر بالمنطقة على خطاف سمك برونزي مشابه لما يُستخدَم حاليًا.

وكانت إحدى المفاجآت التي ظهرت خلال الحفائر الحالية بالتجمع الملكي: أن العمال تناولوا كمًّا كبيرًا من اللحم، ربما كان ذلك يوميًّا. فقد كان من السائد أن طبقة الصفوة هي فقط التي كانت تأكل اللحم بأي كمية، لكن الكم الكبير من العظام الذي عُثِر عليه بمنطقة العمال بالجيزة يشير إلى أنه كان يُذبح نحو ١١ من الماشية و٣٣ من الخراف والماعز كل يوم، وهو ما يكفي لإطعام ١٠ آلاف عامل. وكل هذا ما يدل إلا على أن تخطيط بناء الهرم وتنفيذه تما عن طريق منظومة محكمة يسودها حب متبادل بين ملك حكيم ودود نجح في القضاء على البطالة واستغلال قوة شعبه الجسدية والذهنية، وذلك الشعب الذي أحب ملكه ونفّذ هذا المشروع الخرافي بحب شديد، حتى إن عمال المشروع طلبوا من الملك أن يُدفنوا بجواره حتى يُبعثوا معه في العالم الآخر، ومثل تلك الأفكار لا تأتي من عبيد، ولكن من شعب حر مبدع

*****

موقعة الخروج وأكاذيب «فرعون»

تعاقبت أجيال على أرض جاسان من بعد وفاة «يعقوب»، ومن بعده مات «يوسف» وبقية إخوته، الواحد تلو الآخر. كان الأمر قد استقر لبني إسرائيل فأثمروا وتوالدوا وزادت أعدادهم، حتى إن بعض

maktabbah.blogspot.com

المؤرخين اليهود ادَّعوا أنهم قد وصل عددهم إلى نحو مليون شخص.

ولكن لم يدُم حال الرخاء والسلم لبني إسرائيل، فما إن مات «لاوي»، آخر أبناء «يعقوب»، حتى بدأ الحال يتغيَّر، ولم يعُد للقوم الوافدين سلطان أو سند يحميهم. وبدلًا من أن يظلوا كرامًا منعمين، أصابهم الذل وتجبَّر عليهم أهل مصر ردًا على ما رأوه منهم من مساندة للمحتلين الهكسوس. وبدأت تتقلَّص الامتيازات والأراضي والهبات التي مُنحت لهم حينما كان «يوسف» النبي وزيرًا، حتى تحولوا إلى قوم مأجورين يعملون في أعمال البناء بالطوب اللبن، تلك الحرفة التي عرفوها بجوار الرعي.

وجاء ملك جديد على عرش مصر لم يعرف سيرة النبي «يوسف» وإخوته ولم يعاصر مجدهم، بل إنه خشي على نفسه من تزايد أعداد بني إسرائيل ولم يشعر بولائهم له، فبدأ التخطيط لرحلة الاضطهاد والتعذيب التي يتباكى بها بنو إسرائيل. حينها اجتمع به كبراء مصر وشيوخها وتوصلوا إلى حيلة بأن يسيروا في المدن يطلبون عمالًا لبناء مدينتي «فيثوم» و«برعمسيس»، هاتين المدينتين غير المحصنتين، فيتجمَّع أفراد من بني إسرائيل للاشتراك في البناء فيتحولون مع الوقت إلى عمال أجراء يشرف عليهم المصريون ويتسلطون عليهم ويضعفون من قوتهم بالعمل الشاق المنهك، بعدما اعتادوا التواكل والكسل.

كان بنو إسرائيل قد سئموا من تلك الأعمال الصعبة التي لم يعتادوها، وبدؤوا في التمرد على هذا الوضع، لكن الأمر كان أقوى منهم، فبدؤوا في بث أخبار كاذبة من أجل نشر روح اليأس بين أهل مصر، فأشاعوا أنه سيأتي من بين بني إسرائيل من يزول على يديه ملك الملك ونهاية دولته.

وما إن انتشرت تلك الشائعة الخطرة، حتى وصلت إلى الملك، فانقلب على بني إسرائيل وانتهت المهادنة والرأفة معهم وكشف عن وجه جديد أذاقهم من خلاله ويلات الاضطهاد وبدأت فيه كل ألوان التعذيب

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

للخلاص منهم. فوصل به الأمر إلى أن أمر بذبح كل مواليد بني إسرائيل من الذكور في عام ويتركهم عامًا، مع الإبقاء على الإناث. فأرسل رجاله يطوفون ببيوت الإسرائيليين يكسرون أبوابها بحثًا عن أي وليد ذكر فيخطفونه ويذبحونه على الفور. بل إن الملك أمر بأن تولّد المصريات نساء بني إسرائيل، فيعرفن مواليدهن كي لا ينجو أي ذكر وليد من هذا العقاب ويفلت أبواه بحياته، وإذا ما احتال أهل البيت على أمر الملك وخبؤوا وليدهم فسوف يحل عليهم جميعهم العقاب ويُذبحون كلهم.

*****

الوليد «موسى» في مصر

وسط تلك الأجواء المشحونة والأيام العصيبة، ظهر حمل «يوكابد»، بنت لاوي بن يعقوب، امرأة «عمران»، للمرة الثالثة، في العام الذي قرر فيه «فرعون» ذبح الأولاد. فكانت قد ولدت قبله «مريم» ومن بعدها «هارون» علانيةً في العام الذي سُمح فيه بولادة الذكور. وكان هذا العام هو عام التحريم، وجاءت المفاجأة الكبرى بأن الوليد كان ذكرًا، ووضعته بعد ستة أشهر فقط من الحمل؛ لذلك لم يتوقّعه الحراس الموكلون من قِبَل الملك، حين وُضع أمام كل بيت من بيوت بني إسرائيل حرس، ما إن وضعت امرأة هذا البيت ولدًا فيطبقون عليه أمر الذبح. ونجح الأبوان في إخفاء أمر الوليد طيلة ثلاثة أشهر. وما إن عجزت عن مواراته مدة أطول، جاءها وحي الرب بأن تضعه في سلة من القصب وطلته بالزفت، وخبأته بين حشائش حافة النهر، ثم أوفدت «مريم»، أخته الكبرى، لحراسته، وسار مع التيار تلاحقه عينا أخته حتى غاب عن أنظارها، يعتصر قلبا الأم والأخت عليه.. إنه «موسى» النبي.

ويأتي التضارب بين السرد القرآني والقصص التوراتي في ذكر المرأة التي تربّي «موسى» في كنفها؛ فعلى الطرف الآخر من النهر كان قصر الملك، جلست فتيات القصر يستحممن في النهر فصاحت إحداهن

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

بعدما وجدت شيئًا غريبًا يبحر تجاههن حيث التابوت، حينها تخرج التوراة في ذكر ابنة الملك بأنها مَن وجدت الرضيع داخل التابوت، بينما يأتي ذكر تلك الواقعة في القرآن الكريم على يد امرأة «فرعون» التي تُسمى آسية بنت مزاحم؛ حيث مدَّت يدها وأمسكت به، فوجدت بداخله رضيعًا بالغ الحُسن، فيه علامة بني إسرائيل؛ حيث كان مختونًا، وهي العلامة التي تعلمها بنو إسرائيل من المصريين ونسبوها لأنفسهم دونًا عن بقية الأقوام البدوية. ففكرت في تركه ليلقى مصيره، لكن الربَّ أنزل في قلبها سكينة وعطفًا تجاهه وعزمت على إنقاذه، أحضرت له أميرة مصرية كي تُرضعه، لكنه رفض الرضاعة، فأحضرت له أخرى، لكنه كرر فعله ورفض الرضاعة من أي امرأة تُحضرها له.. فما كان منها إلا أن طافت خادماتها للبحث عن مُرضِعة من بني إسرائيل. كانت «مريم» تراقب حركة ابنة الملك وخادماتها فطارت تحضر أمها كي تقدِّمها مرضعةً لرضيع الملك، وكان هذا اختيار الرب كي يعود إليها ويطمئن قلبها.

ويرى البعض أنه قد أطلق عليه «موسى»، وهي مشتقة من اللفظ العبري «موشيه»، وتعني المنتشَل، وذلك بعدما أن انتشلته ابنة الملك. بينما يعتقد البعض أن اسمه مشتق من الكلمة المصرية القديمة «مس»، وتعني «الوليد».

بعد عامين في كنف أمه، نشأ «موسى» داخل قصر الملك كأميرٍ، حيث تعلَّم عادات بلاط القصر وتقاليدهم. وأظهر ذكاءً حادًا في معرفة الكتابة والقراءة ونسخ البرديات وعلوم الفلك واكتسب لغة المصريين، على الرغم من أنه كان بطيئًا في الكلام متلعثم اللسان. وما إن أصبح شابًا حتى تبوأ منصبًا كبيرًا في الدولة.

وفي يوم، خرج «موسى» ليتفقّد حال قومه من بني إسرائيل في جاسان ومرَّ على موقع بناء، فوقعت واقعة غيَّرت من مجرى حياته، كان لكل عشرة عمال عبرانيين مشرف من بني جلدتهم ومعهم مراقب مصري، فوجد مراقبًا مصريًا يتطاول بالضرب على عامل عبراني،

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

وتذكر التوراة أن الرب أوحى لـ«موسى» بأن المصري قد زنى بزوجة ذلك العامل، فهمَّ «موسى» للقصاص منه ودفعه بيده، إلا أن المصري سقط ميتًا، ودفنه في الرمل في الموضع ذاته بعدما ندم على فعلته أشد الندم، وطلب من الشهود أن يكتموا السر.. لكن في اليوم التالي، اصطنع ذلك العبراني التشاجر مع زميله بغية مشاكسة «موسى»، فقدم إليه مدافعًا عنه، ولكن ما كان من العبراني إلا أن علا صوته صارخًا: أتريد أن تقتلني اليوم كما قتلت المصري؟! فارتعد قلب «موسى» من افتضاح أمره وسار مترقبًا، فوجد أن الأمر قد انتشر بين الناس ووصل إلى السلطات، فأمر الملك بأن يقتل، فتجمَّع الملأ للبحث عنه من أجل قتله والفتك به.

فرَّ «موسى» هائمًا على وجهه لا يعرف أين يذهب؛ فالخطر في مصر يطارده والموت على يد الملك ورجاله من ورائه. أخذ يرتحل بين صحاري سيناء وجبالها حتى استقر به الأمر عند «مدين»، وهناك تقابل مع شيخ قبيلة وعرض عليه العمل معه في رعي الأغنام سنين عدة وتزويجه إحدى بناته لما رأى منه من صلاح وقوة، ولم يكُن لـ«موسى» وطنٌ يعرفه غير مصر، لكنه أصبح منها طريدًا، فوافق على ذلك العرض.

انتهت مدة العهد الذي كان بين «موسى» وحميه، وقرر حينها العودة إلى مصر بعدما وصل إلى مسامعه وفاة الملك ونسيان أمره وتولي ملك جديد. وعندما اقترب «موسى» من جبل حوريب، شعر بأنه في مكان مقدس فلم يمر الطير فوقه، وأول ما استوقفه شجرة عليق، جزؤها العلوي عبارة عن نار تشتعل دون أن تحترق أوراقها، اقترب منها خطواتٍ ليراها عن كثَب، فخرج صوت الرب من وسط العليقة يأمره بخلع نعليه؛ فهو في حضرة الرب بالوادي المقدس، وجاءه الأمر الأكبر بأن يقود شعبه ويُخرجهم من مصر من أجل تخليصهم من نير الملك وعذابه.

شعر «موسى» بخوف عظيم ومدى ثقل تلك المهمة على كاهليه؛ فهو طريد من مصر لا يثق به قومه، لكن الرب أراد أن يقوِّي من شأنه فأمره

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

بإلقاء عصا الرعي التي في يده فإذا هي تتحول إلى ثعبان ضخم يتلوَّى في رمال الصحراء، وإذا عاد وأمسك بذيلها رجعت عصا، ثم أمره بأن يُدخل يده في جيبه أو تحت إبطه فإذا أخرجها كانت «برصاء مثل الثلج»، وإذا ردها إلى القميص وسحبها مجددًا عادت سليمة. خاف «موسى» لأن لسانه لا يساعده في إقناع «فرعون»، فأمره الرب بأن يصطحب معه أخاه «هارون» كي يكون عضده، وبهذا تسلّح «موسى» بجميع أوامر الرب ومعجزاته استعدادًا لمواجهة «فرعون».

*****

«موسى» و«فرعون».. المواجهة

سار «موسى» ومعه زوجته وبنوه حتى تقابل مع أخيه «هارون» وأبلغه بما رآه، ففرح «هارون» بالأمر وانطلقوا جميعًا نحو مصر من أجل الرسالة المقدسة. وما إن وصلا إلى قصر «فرعون» فأقاما ببابه الموصد يطلبان مقابلته، وبعد إصرار شديد وقف كل من «موسى» وأخيه ببيت ربيبه القديم، وطلب منه أن يكف عن أذى قومه ويخرجهم معه ويترك عبادة آبائه ويعود إلى عبادة الرب الواحد الأحد. غضب «فرعون» واستكبر لما سمعه من «موسى» وشعر كأنه ينكر فضله القديم عليه وقال: ما الذي يجعلني أومن بما تقول؟

حينها تذكّر «موسى» جند الرب متمثلةً في عصاه، فألقاها على الأرض في حضرة «فرعون» وحاشيته، فإذا بها حية ضخمة تتلوَّى أمامهم، فاتحةً فكيها لتبث سمومها تجاه «فرعون»، فصرخ مرتعدًا وطلب من «موسى» أن يكف سحره، فسحب «موسى» ذيل الحية فعادت عصا كما كانت، ثم أخرج يده من جيبه، فإذا هي بيضاء من غير سوء، ثم ردها مرة أخرى فعادت إلى سيرتها الأولى.

شعر «فرعون» بأنه أمام تحدٍّ حقيقي، فجمع رجال بلاطه واستشارهم فيما رأوه، فقالوا إن «موسى» وأخاه ساحران يريدان أن يهدما ملكه بهذا السحر اللعين، فرفض أن يجيب طلبهما وقبل التحدي وأمر بحشد

maktabah.blogspot.com

كل سَحَرته من أزقة مصر ومدنها كي يكسر قوتهم ويحبط سحرهم، حينها سيكون بنو إسرائيل في قبضته للأبد ولن تقوم لهم أي قائمة.

انطلق رجال «فرعون» في الشوارع والطرقات، يجمعون كل السحرة، المعروفين منهم والمغمورين، الكبار المحترفين والمبتدئين، وكل مَن كان صاحب حيلة وسحر لمقاومة رجلين اثنين فقط. وما إن وقفوا أمام «فرعون» حتى سألهم عمَّا رآه، فأخبروه بأنه شخص يعمل بالحيات، فأمرهم بأن يُبطلوا هذا السحر بأسحارهم أمام أعين الشعب كله، فوافقوا من فرط ثقتهم بقوتهم، لكنهم اشترطوا عليه أن يمنحهم العطايا والهدايا إذا انتصروا، فوافق «فرعون» بعدما امتلأ قلبه بالحماس.

وجاء يومُ التحدي الأكبر؛ حيث تزيَّنت مصر بأعلامها واحتشد شعب مصر كله ليشاهد تلك المقابلة التي أمر بها «فرعون»؛ فمنهم من أغلق دكانه، ومنهم من ترك أرضه، ومنهم من تسلق إلى سطح بيته، بينما جلست النساء يشاهدن من وراء نوافذهن، وقدم سحرة «فرعون» يعتليهم الفخر والثقة غير المحدودة، بينما جلس «فرعون» على عرشه تحت مظلته وحوله رجاله ليجعل من «موسى» أضحوكة أمام الناس ويشاهد كسرته أمام جيش سَحَرته. ضحك أحد السحرة ساخرًا من «موسى» بأنه إن غلبهم فسوف يكون هو ومَن معه مِن أتباعه، وسأل «موسى» أيبدأ هو أم يبدؤون، فلمح «موسى» هذا التجبر، لكنه رد بأن يبدؤوا هم ويعرضوا سحرهم. فقام كل ساحر بإلقاء حبل أو عصا صغيرة وأوحوا للناظرين بأنها ثعابين صغيرة. ولما جاء الدور على «موسى» أوحى له الرب بأن يلقي عصاه الكبيرة، وحدث ما لم يتوقعه السَحَرة، فجرت العصا حية ضخمة ولم تترك حبلًا ولا عصا إلا ابتلعته. حينها اتسعت أعين السحرة وسقطوا على الأرض وعرفوا أن ما أتى به «موسى» ليس سحرًا عاديًا، لكنه معجزة حقيقية لا يستطيعون مجابهتها.

أحس «فرعون» بمرارة الهزيمة أمام شعبه وصدمة المفاجأة التي لم

maktabah.blogspot.com

يكُن يتوقعها، وشعر بأن صرح كبريائه يتهاوى وبأن ملكه أصبح في خطر حقيقي، فاستشاط غضبًا وأراد الانتقام من «موسى» والخلاص منه، بعدما أصبح لبني إسرائيل زعيم قوي يقودهم ويتولى أمرهم ليُخرجهم من نير التعذيب والمهانة ويعلمهم قيمة جديدة غابت عنهم طيلة سنين، هي الكرامة. فبعد أن كان بنو إسرائيل شيَعًا وأسباطًا تراخت أواصر الصلة بينهم بسبب الاستعباد المصري، نجح «موسى» في أن يجعلهم أمةً واحدة تحت قيادته وأسفل رايته. وعلى الرغم من صعوبة إقناع اليهود بلم شملهم وإرضاء نفوسهم، فإنه بدعم الرب ومعجزاته أصبح قائدًا لهم جميعًا.

جمع «فرعون» رجاله مرة أخرى وخطط لقتل هذا الزعيم الجديد هو و«هارون» أخيه، لكنهم نصحوه بأن قتل «موسى» سوف يزيد من شعبيته في نفوس قومه ويُحدث حالة هياج بين قوم «موسى» بل وبين المصريين أنفسهم، فقرر العدول عن فكرة القتل لكنه استبدل بها أن يزيد في تعذيبهم ويعمد إلى إذلالهم أضعاف ما نالوه من قبل.

تملّك الرعب بني إسرائيل وعرفوا ما سوف يحيق بهم من محن ومصاعب، وعلى الرغم من أن «موسى» أمرهم بالصبر فإن نفوسهم الضعيفة لم تتحمَّل بعدما اعتادت الهوان والعجز واستلذوا الهزيمة والانكسار، فأصبح ذلك هو طابعهم وسمتهم بين الأمم، وفرض عليهم العمل أضعافًا حتى خارت قواهم وأصبح جزاء من لم يعمل السوط وأن تُستحيَى امرأته أمام عينيه.

*****

الضربـات المميتـة

تتعارض التوراة مع ما ذُكر في القرآن الكريم مرة أخرى، حيث عدد الضربات، وإن اتفقت على فحواها.. فبعدما أحس «موسى» بتكبُّر «فرعون» ورفضه خلاص بني إسرائيل، على الرغم مِمَّا رآه من معجزات، رفع يديه إلى السماء، فوعد الرب «فرعون» بضربات لم ترَها

maktabah.blogspot.com

أرض مصر منذ قرون، فأوحى له باستخدام عصاه مرة أخرى، لكن تلك المرة عند طرف نهر النيل؛ حيث حياة المصريين ومصدر رخائهم وأساس زرعهم، فتحوَّل النهر الجاري إلى بركة دم حمراء عفنة الرائحة نفق فيها السمك بطول النهر كله، ولم يستطِع أهل مصر الشُّرب منه وحاولوا الحفر حول النهر ريثما يجدوا ماءً صالحًا للشرب بعدما أصابهم العطش الشديد طيلة سبعة أيام.

وما إن انتهى اليوم السابع حتى ذهب «موسى» مرة أخرى إلى «فرعون» لعلّه يوافق على طلبه، لكنه زاد في عناده. وبعد أن خرج من «موسى» من القصر خرجت الضفادع من الأحراش واجتاحت الأرض تهز بنعيقها مسامع الناس حتى ظنوا أن الأرض تهتز بسببها. حينها هرع «فرعون» طلبًا لـ«موسى» وأظهر له، خبثًا، طاعته له في مقابل أن يدعو ربه ليزيل تلك الضفادع عن الأرض. وبعد أن دعا «موسى» ربه ماتت الضفادع في البيوت والدور والحقول، وجمعوها أكوامًا كثيرة حتى أنتنت الأرض. وكان موت الضفادع قد أحدث خوفًا للمصريين؛ حيث إن الربة «حكت»، ربة الولادة، تتمثل في شكل امرأة برأس ضفدع، ومع نفوق تلك الأعداد المهولة اهتزت هيبة الربة في أعين المصريين. وعلى الرغم مِمَّا حدث، فإن «فرعون» تنصَّل من وعده ورجع إلى تجبُّره ومنع خروج بني إسرائيل ليعبدوا الرب ويقدموا ذبائحَ قربانًا له في البرية.

وجاءت الضربة الثالثة؛ حيث ضرب «موسى» بعصاه مرة أخرى فخرج البعوض والقمل على الناس وعلى البهائم يقرضونهم كأنهم وحوش ضارية؛ حيث دخلوا المنازل واحتلوا الزرائب. ولما كان المصريون قومًا عُرف عنهم النظافة الدائمة خوفًا من الحشرات والقمل، كانت تلك الضربة موجعة لنفوسهم قبل أجسادهم. لجأ «فرعون» هذه المرة إلى سحرته كي يقتلوا القمل والبعوض، فحاولوا بكل ما أوتوا من سحر، إلا أنهم فشلوا، فعرفوا أن الأمر أكبر من قدراتهم.

ثم جاءت الضربة الرابعة، وهي شبيهة بالثالثة؛ حيث انتشر الذباب في

أنحاء مصر، محملًا بالأمراض والأوبئة، فاجتاح بيوت المصريين وأصاب حيواناتهم بالمرض حتى خربت الأرض.

ذهب «موسى» إلى «فرعون» يكرر إنذاره، وما كان من «فرعون» إلا أن زاد في طغيانه، فحذره «موسى» تلك المرة بأن الضربة ستصيب مواشيه ومواشي المصريين دون أن تمس ما يمتلكه بنو إسرائيل، وما إن أشرقت شمس اليوم التالي حتى كانت الضربة الخامسة، نفقت كل مواشي مصر مرة واحدة دون مواشي بني إسرائيل، فصرخ الناس وهم يرون ما يملكون يتهاوى أمام أعينهم دون سبب واضح، ولم يطل الموت المواشي فحسب، بل ضرب الحمير والبغال والخيل والجمال، فكانت الخسارة فادحة، ولما كانت الربة «حتحور»، ربة الأمومة والعاطفة لدى المصريين، تتمثَّل على شكل بقرة، وتمثَّل الرب «خنوم»، صانع البشر عندهم، على هيئة كبش، فإن نفوق كل الأبقار والكباش مرة واحدة زاد من إحساسهم بالرعب.

وقف «فرعون» في شرفة قصره يرى كل هذا الخراب، لكنه ظل على عناده يسانده مَن بقي مِن السحرة ورجال قصره، فلمح «موسى» و«هارون» يصعدان الدرجات ناحيته وأخذ كلاهما رمادًا من أتون منطفئ فنفخا فيها نحو السماء لتذروه الرياح، فتحول إلى دمامل تصيب كل الناس وكأنها وباء قاتل، يصرخون في الشوارع من الألم. فجرى «فرعون» نحو عرَّافيه، لكنه وجدهم قد أصيبوا هم أنفسهم بالدمامل وتشوهت جلودهم.

ثم جاءت الضربة الجديدة سريعة، حين رفع «موسى» يده مشيرًا نحو السماء، فنزل الصقيع على كل أنحاء مصر، وأصاب أهلها ببرد شديد لم يروا مثله، واسودَّت السماء مرعدة يشقها برق مخيف وانفجر طوفان عنيف من النهر، حتى أصيب كل ما في الحقول من الناس والبهائم، وماتت جميع أعشاب الحقول وكُسرت جميع الأشجار، إلا أرض جاسان، حيث كان بنو إسرائيل، فلم يصبها البرد أو الصقيع، ولم تهدأ حركة السماء إلا بعدما ترجَّى «فرعون» «موسى» كي يدعو ربه ليوقف تلك

maktabah.blogspot.com

الضربة، ففعل «موسى» آملًا أن يتوب «فرعون» ويعبد رب «موسى» ويسرِّح بني إسرائيل، لكن التجبُّر ما زال يجري داخل «فرعون»، وما إن زالت الغمة حتى عاد إلى سيرته ومنع رجالَه بني إسرائيل من التحرك أو إقامة الشعائر.

ولما كانت الزراعة هي أساس حياة مصر والمصريين، أضحت الضربات السابقة تمس أرضهم وماشيتهم بضرر كبير، لكن الضربة التالية كانت هي القاصمة لزراعتهم واقتصادهم. غطَّت سماءَ مصر أسرابٌ لا حصر لها من الجراد، حتى أصبحت أرض مصر الخضراء مقفرة اللون بعدما أكل الجراد كل الزروع التي تركها البرد من جذورها، فانتشر القحط بين المصريين وساد الجوع والفقر البلاد. وبعدها حل الظلام الدامس استمر ثلاثة أيام متواصلة أصبحت فيها مصر سوداء حتى لم يبصر المرء من أمامه، وخيم الضيق داخل نفوس الناس، واكتملت الضربات بموت كل الأبكار، بداية من أبكار «فرعون» وحاشيته والمصريين، حتى أبكار المواشي والغنم، فانتشر العويل والبكاء في جميع أنحاء مصر، وبات الحزن سمة تلف أرجاءها. حينها تمكَّن الخوف من قلب «فرعون» ورضخ لمطالب «موسى» وأطلق معه قومه كي لا يرى الموت مرة أخرى.

*****

الخروج.. الموقعة الكبرى

حشد «موسى» قومه استعدادًا للرحيل من مصر بعد سنوات من التعذيب والذل، فكان يوم عيد الفصح والخلاص، وجاءه الأمر بالتحرك في جنح الليل سرًا. ولكن قبل أن يسري بقومه كان عليه أن ينفذ وصية جده «يوسف»؛ حيث يأخذ رفاته ويحمله معه في أثناء خروجه من مصر، وإذا لم ينفذ تلك الوصية فلن يخرج هو أو قومه من مصر أبدًا. ولم يكُن الأمر بتلك السهولة التي تخيَّلها؛ فهو يعرف أن «يوسف» النبي مدفون في جبَّانة ملكية مع علية القوم، وصعب عليه التمييز بينها وبين

بقية الرفات، إلا أنه وجد رائحة زكية تخرج من بقعة معينة، فأيقن أنها موضع دفن «يوسف»، فحملها معه في تابوت مخصص له وأصبح جاهزًا للرحلة الأصعب.

لكن بني إسرائيل خططوا لما هو أشد خبثًا من ذلك، فبدأ كل رجل عبراني نهارًا يطلب من صديقه المصري متاعًا وذهبًا وفضة، وطلبت كل عبرانية من مصرية حليًا وأساور وملابس، على سبيل القرض، حتى سُرِق كل شعب مصر دون أن يشعروا، بل حمل بنو إسرائيل عجينهم معهم دون انتظار أن يختمر، فكانت فطيرة عيد الفصح، وهو ما دل على أن فئة كبيرة منهم قد خرجت مطرودة وأكرِهت على الخروج حبًا منهم للحياة واستكانة للذل وكرهًا للموت وعدم رغبة في النضال ضد العبودية، إلا أنهم انصاعوا لأوامر الأغلبية وبدأ القوم في التحرك وكانت نقطة انطلاقهم في «أواريس».

سارت الأمة العبرية، التي وصل عددها إلى نحو خمسة آلاف، على الأقدام بعيدًا عن حصون المصريين القديمة، فلم يكونوا قدر الدفاع عن حريتهم بعدُ، وظلت في نفوسهم بقايا العبودية، فوصلوا ناحية «سكوت» ثم ارتحلوا إلى «إيثام»، حيث كانت نهاية الأرض المزروعة حتى وجدوا أنفسهم أمام بحر «سوف».

ولم يكُن هذا أسوأ ما في الأمر؛ فقد تغيَّر قلب «فرعون» ثانيةً وعاد إلى رعونته وقرر إعادة الهاربين إلى حظيرته مرة أخرى، فكان يعتقد أن بني إسرائيل سيبقون في البرية ثلاثة أيام يقدمون فيها الأضاحي لربهم ثم يعودون مرة أخرى لخدمة سيدهم، ولمَّا مرت المدة التي تخيلها «فرعون» ولم يأتوا، قرر اللحاق بهم وقاد جيشًا جرارًا من فرسان وعربات ومشاة بالاتجاه الذي علق فيه بنو إسرائيل وأصبح يطوي الأرض طيًا كي يلحق بـ«موسى» وقومه وهو يقود عربته الحربية بنفسه، وما إن سمع بنو إسرائيل بأمره وشعروا بالأرض تهتز أسفل سنابك جيش «فرعون» حتى تملَّك الهلع من قلوبهم وشعروا بأن الهلاك واقعٌ لا محالة، تلك المرة لن يكتفي «فرعون» بتعذيبهم أو

maktabah.blogspot.com

تسخيرهم فحسب، بل سيفتك بهم وينتقم من «موسى» في قومه جزَاء تلك الضربات المميتة التي لَعن بها «فرعون» وأرضه. وما إن لاحت ألوية جيش «فرعون» في الأفق حتى خار بنو إسرائيل وهم يعرفون بأنهم أضعف وأذل من أن يواجهوا جيش «فرعون». بل وصل الأمر ببعضهم أن يلوموا النبي «موسى» على مغامرته، فأصبح كونهم خدمًا في مصر خيرًا لهم من أن يموتوا في البرية، فعندما كان يموت أحدهم في مصر يجد من يواري بالتراب جسده، ولكن الموت هنا سيترك جيفهم في العراء تأكلها الضواري؛ فبحيرة البوص أمامهم، بجوارها مستنقعات فرع النيل البلوزي، وجيش «فرعون» خلفهم. فبحسب أي قوانين عسكرية تلك المعركة سينهزم فيها بنو إسرائيل لا محالة؛ فلا تكافؤ في العتاد أو التجهيز أو حتى الحالة النفسية، فبنو إسرائيل بدو رعويون، أكثرهم نساء وأطفال وشيوخ، تملأ قلوبهم الهزيمة حتى من قبل أن يحاربوا، في مواجهة جيش محترف ذي عتاد قوي وعجلات حربية متطورة ونفوس طامعة في الانتقام والسيطرة على عبيدهم القدامى.

حينها، لم يكُن لدى «موسى» سوى أن ينظر إلى السماء ويلح على الرب في طلب الغوث بهذا الموقف العصيب، فأوحى له ربه بأن يضرب بعصاه طرف البحر ففعل «موسى»، وحينها حدثت المعجزة الكبرى: انفلق ماء البحر على الجانبين بارتفاع مهيب، وكأنها جدران من ماء، حتى ظهر قاعه يابسًا صلبًا، فسار بنو إسرائيل في طابور طويل يحملون أمتعتهم التي سرقوها في خوف من أن يلحق بهم «فرعون» وجنده على الرغم من تلك المعجزة المهولة، وفي اللحظة التي خرج فيها آخر شخص من بني إسرائيل من قاع النهر حتى دخل «فرعون» وجيشه إلى القاع يقرع رجاله طبول الحرب شاهرين أسلحتهم، عادت مياه البحر مرة أخرى وابتلعت جيش «فرعون»، فتخبط الجنود وطارت رايتهم وارتبكت صفوفهم، وحاولوا مقاومة الغرق لكنهم لم يفلحوا، أما «فرعون» فأخذ يصارع الأمواج العاتية وهو يستصرخ باسم «موسى» ويستجديه للمرة الأخيرة بأن يعفو الرب عنه قائلًا:

maktabah.blogspot.com

آمنتُ برب «موسى». لكن الوقت قد فات، فغرق «فرعون» وانقطع نفسه وصمت صوته للأبد.

رأى بنو إسرائيل تلك المعجزة بأعينهم، لكن ما زال في قلبهم خوف من «فرعون» بأن يعود، فطلبوا من «موسى» أن يروا مصير «فرعون»، فدعا «موسى» ربه أن يقذف البحر جسده ميتًا على الشاطئ، حينها أيقنوا هلاكه التام ونجاتهم من نيره، وتأكدوا من خروجهم من تحت سخرة «فرعون» الهالك.

*****

مَـن «فـرعـون»؟

يُعد تطاول بعض المؤرخين قديمًا وحديثًا على ملوك مِصر القديمة ومحاولة إلصاق تهم التعذيب وسوء المعاملة بهم، من أهم ما يحاولون صياغته في كتابة التاريخ القديم، متناسين الأدلة التاريخية والأثرية؛ حيث وضعوا كثيرًا من ملوك الدولة الحديثة في مرمى الاتهام مباشرة، معتمدين في تلك الاتهامات على نصوص التوراة وما يشوبها من تحريف وليّ للمعاني بما يخدم أغراضهم ومحاولة إلصاق حادث الخروج وشخصية «فرعون» بهؤلاء الملوك الذين بنوا إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس في زمانها.

وكان أول مَن اتهموه من ملوك مصر هو «أحمس» باعتباره «فرعون العذاب»، بينما كان «تحتمس الأول» هو «فرعون الخروج»، وهذا الأمر غير منطقي؛ حيث لم تكشف لنا مومياء الملك «تحتمس الأول» عن موت فجائي أو غير عادي، بل كانت ميتته عادية وحُنط بشكل طبيعي. وهناك من يرى أن «تحتمس الثاني» هو «فرعون موسى»، وهو الافتراض الذي اتبعه جون دي ميسللي عام ١٩٦٠، حين توصَّل إلى تلك النظرية من خلال تحديد زمن الخروج، بالإضافة إلى فحصه مومياء الملك بزعم أنه مات بمرض جلدي، وهو المرض نفسه الذي أصاب «فرعون موسى» خلال اللعنات التسع التي تذكرها التوراة. وهذا

maktabah.blogspot.com

التحليل خاطئ؛ لأنه مع تحليل مومياء الملك «تحتمس الثاني» تبيَّن لنا أنه مات بسبب تضخُّم في عضلة القلب وليس مرضًا جلديًا كما أشيع.

ويظهر لنا افتراض جديد ينص على أن الملك «تحتمس الثالث» هو الفرعون المنشود، وذلك بافتراضية أن النبي «موسى» قد انتشلته الملكة «حتشبسوت» وتربَّى في بلاطها، ولمَّا تولَى «تحتمس الثالث» العرش، فرَّ «موسى» من البلاط بسبب عداوته للملكة السابقة، وبالتالي لمن كان ينشأ في كنفها. ويمكن رفض تلك الفكرة لأن الملك «تحتمس الثالث» لم يكُن في حالة عداوة شديدة معها كما يعتقد البعض، بينما امتدت مصر في إمبراطورية عظمى لتصل إلى حدود الفرات، وبالتالي هروب النبي «موسى» من «تحتمس الثالث» إلى كنعان لم يكُن أمرًا منطقيًا.

ومن الخرافات الشائعة حول اتهام ملوك مصر بـ«فرعون موسى»: اتهام ملوك الأسرة التاسعة عشرة خاصَّةً كلًا من «رمسيس الثاني» وابنه «مرنبتاح»، بأن أحدهما هو «فرعون العذاب» والآخر هو «فرعون الخروج»، ويمكن تفنيد تلك الخرافة بأن عاصمة «رمسيس الثاني»، وهي مدينة «بر رعمسيس»، التي ورد ذكرها في التوراة سفر الخروج حيث سخر الفرعون بني إسرائيل لبناء مدينتي «بر رعمسيس» و«فيثوم»، والحقيقة أن «بر رعمسيس» التي اتخذها «رمسيس الثاني» بالفعل عاصمة لملكه ما كانت إلا إعادة تسمية لمدينة «أواريس» القديمة التي كانت قائمة بالفعل وقد اتخذت أيضًا اسم «تانيس»، والأسماء الثلاثة هي لمدينة واحدة.

ومع فحص مومياء «رمسيس الثاني»، نتأكَّد أنها لرجل عجوز متوسط الطول (١٧٣ سم) بلغ الثانية والتسعين من العمر، فهل يستطيع رجل في هذه السن المتقدمة ويعاني «روماتيزم» حادًا يمنعه حتى من المشي متزنًا دون عصا يتكئ عليها أن يقود عجلته الحربية ويتتبع «موسى»، عليه السلام، وقومه من العاصمة حتى مكان الغرق في البحر؟ كما تم التأكد من خلال البحوث الطبية على المومياء من

maktabah.blogspot.com

عدم وجود آثار للغرق، وأن الراحل كان يعاني خراريج في أسنان مقدمة الفم تكفي لأن تكون سببًا في وفاته.

كما أن نظرية الطبيب «موريس بوكاي» حول وجود فرعونين، أحدهما للاضطهاد، وهو «رمسيس الثاني»، والثاني للخروج، وهو «مرنبتاح»، نظرية خاطئة، فيكفي أن نوضح أن دليل إدانة «مرنبتاح» الذي يتحجَّج به «بوكاي» هو نفسه دليل براءته، وهو ما نقشه على لوحته الشهيرة التي تُعرف باسم «لوحة النصر»(23) أو ما تسمى خطأ «لوحة إسرائيل»، ففيها يتباهى بانتصاراته على ممالك وقبائل وجماعات بمنطقة كنعان، فكيف لملك أن يسجل انتصاراته على لوحة تعرض أسماء لقوم نجحوا في هزيمته؟ فمع تحليلنا لعناصر اللوحة للرد على الادعاءات المنسوبة للملك «مرنبتاح»، نرى أن الملك يذكر أنه انتصر على أقوام وممالك في العام الخامس من حكمه، ومن المعروف أن الملك «مرنبتاح» حكم لمدة عشر سنوات؛ لذا فإن نهايته بالغرق غير منطقية، كما أن الأبحاث التي أجريت على مومياءه تشير إلى أن وفاته طبيعية وأنه كان يعاني التهاب المفاصل وتصلّب الشرايين. ونعرف من اللوحة قيام «مرنبتاح» بعمليات حربية ضد قبائل تُعرف باسم «يزرعيل» أو «يزرائر»، التي ترجمها البعض بأنها إسرائيل؛ حيث يشير في السطر الـ٢٧: «دمرت يزرائر ولا بذور لها»، وفي الحقيقة أن «يزرائر» هي منطقة مرج ابن عامر أو سهل «يزرعئيل» كما وصف في التوراة، الواقعة شمال شرقي جبل الكرمل، وكانت الحروب فيها ضد قبائل رعوية، أما كلمة إسرائيل فهي المملكة التي تأسست على يد «شاؤول» (في التوراة) أو «طالوت» (في القرآن الكريم)، ومن بعده الملك النبي «داوود» في ١٠٥٠ ق. م، أي أن الحرب كانت ضد قبائل وليست مملكة. ونعرف من اللوحة أن مسرح عمليات حروب الملك «مرنبتاح» كان في منطقة فلسطين، بينما نستدل من الكتب السماوية على تيه بني إسرائيل في سيناء لمدة أربعين سنة بعد الخروج وقبل انتقالهم إلى فلسطين، ما يدل على أنهم قضوا تلك المدة خلال عهد

«رمسيس الثاني»، وهو ما ينفي موته أو موت ابنه خلال تلك الفترة.

*****

أيها الشعب الناكر للمعروف

بعد تلك المعجزة الكبرى بشهر ونصف الشهر، ومع دخول بني إسرائيل أعتاب صحراء سيناء، حتى بدا عليهم التذمُّر، فقد وجدوا أنفسهم داخل صحراء قفراء تملؤها القوارض والزواحف فأصابهم الجوع، وعلى الرغم مِمَّا رزقهم به الرب من طعام المن أو العسل البري والسلوى، ذلك السمان الصغير الذي عرفوا صيده، وتذكروا ما كان لهم في مصر من أكل وفير يرميه لهم أسيادهم من بقايا لحم وسمك وبصل وقثاء وأصابهم الحنين لأيام الذل والهوان وتباكوا عليها.

وما إن وصلوا إلى «رفيديم» حتى زاد عليهم العطش فزاد تمردهم على قائدهم، إلا أن ربه أوحى إليه بأن يضرب الصخر بعصاه فتنفجر منه اثنا عشر ينبوعًا كي يشرب منها كل سبط، ويعرفوا أن معجزات الرب لا تنتهي، لكن إيمانهم هو الذي ينضب.

وجاء أول صدام فُرض على بني إسرائيل في «رفيديم»، حين خرجت إليهم قبائل كنعانية عُرفت باسم العماليق، يصارعونهم على تلك البقعة الخصبة من أجل الرعي، فجمع «موسى» رجاله وأسند قيادة المعركة لأحد رجاله، وهو يشوع بن نون من سبط «أفرايم»، بينما صعد هو و«هارون» وثالثهما «حور» من سبط «يهوذا» على قمة تل يرفع يديه للرب مناجيًا يطلب منه النصر، وكلما رفع «موسى» يديه انتصر بنو إسرائيل، وإذا أسقط يديه لأسفل كانت الغلبة للعماليق. لكن «موسى» قد خارت قواه وأصبحت ذراعاه ثقيلتين من طول الدعاء، فأسرع «هارون» و«حور» برفع أيديهما لأعلى بعدما أجلساه على صخرة حتى انتصر بنو إسرائيل وطردوا العماليق من «رفيديم».

*****

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة

www.maktabbah.blogspot.com

«السامري» والعجل.. الساحر الملحد

جاء أمر الرب لـ«موسى» بأن يصعد الجبل المقدس كي يحصل على الشرائع المقدسة والوصايا العشر، يعرف «موسى» أنها مسؤولية جسيمة لا بُدَّ من حملها، في الوقت نفسه كان عليه أن يترك قيادة أمته متشعبة الأسباط لمدة طويلة، وهو يعرف ما تكنُّه نفوسهم من ضعف إيمان وقلة حيلة، فلم يخرج أكثرهم معه إلا طمعًا في الدنيا وليس رغبة في تقديس الرب الواحد. وما إن نزل «موسى» من سفح الجبل حتى وجد الكارثة: صنع بنو إسرائيل من الحلي المسروق الذي جلبوه من المصريين عجلًا كبيرًا أشعلوا أمامه النيران وقدَّموا الذبائح باسمه، وأخذوا يرقصون ويبتهلون حوله، وما زاد من تصديقهم له أن له خوارًا مثل خوار الأبقار والماشية.

وكانت الأبقار من الحيوانات المقدسة لدى المصريين القدماء، فكانت الربة «حتحور»، ربة الخير والجمال والأمومة، وكان للربة «حتحور» مقاصير عدة في جنوب سيناء، حيث اعتبرت ربة الفيروز الذي تضمه المناجم، فوجد بنو إسرائيل تماثيلها ونقوشها والقائمين على تقديسها حولهم، فزاغت قلوبهم للوثنية مرة أخرى. كما قدس المصريون العجل «أبيس»، رب القوة الجسدية ورمز التناسل والفحولة، الذي عرفه المصريون باسم «حبو» وحفروا له سراديب الدفن المقدسة بسقارة.

ومثلما تأثَّر الهكسوس بعقائد المصريين القدماء، تعلَّقت قلوب بني إسرائيل بتلك العقائد الوثنية وتأثرت بها عاداتهم، وبقيت الوثنية راسخة في وجدانهم، على الرغم من كل المعجزات، ينقلونها جيلًا بعد جيل، خاصة في اعتقادهم بقدسية الذهب واعتباره هو جسد المعبودات المصرية القديمة، فقد حملت «حتحور» ألقابًا عدة مثل الذهبية وصاحبة القلادة البراقة كالنجوم في صدرها، وهو ما جعلهم يصنعون معبودهم الأجوف من حلي مصر المسروق تقليدًا لهم.

رأى «موسى» أن كل ما صنعه قد انهار أمام عينيه، فألقى باللوحين

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

على الأرض حتى انكسرا، وانطلق نحو أخيه «هارون» يوبِّخه وهو بمسك بلحيته حتى كاد يطبق عليه، فصرخ «هارون» مستنكرًا ما حدث بأنهم تكاثروا عليه عندما منعهم من فعلته، حتى هددوه بالقتل.
وانجرف أسباط بني إسرائيل خلف تلك الفتنة عدا اللاويين، ومعهم كهنة المصريين، الذين خرجوا مع قوم «موسى».. ولكن مَن كان صاحب فكرة تصنيع هذا العجل؟

إنه ذلك الرجل الغامض الذي يُدعى «السامري»، لا أحد يعرف نسبه أو سبطه، فاعتقد البعض أنه ابن خطيئة المصري والعبرانية التي بسببها قتل «موسى» العبراني في مصر، وقد جعل الرب الفتنة في يديه، فحين كان الكل يهرع في أثناء الخروج أبصر «السامري» ما لم يبصره أحد، فرأى حافر جواد الملاك «جبريل» الذي فتح الطريق لبني إسرائيل للخروج يضرب بالأرض، فأثار عفرة، حينها مال «السامري» وأخذ تراب تلك العفرة ووضعها في جرابه الجلدي. وما إن شرع بنو إسرائيل في إقامة عجل ذهبي تأثرًا بوثنية الأقوام المحيطة بهم، حتى عاونهم «السامري» وأخذ من تراب العفرة فنفخه نحو العجل حتى أصبح وكأنه عجل حقيقي، ما زاد في الفتنة داخل قلوب الأسباط.

أحرق «موسى» العجل الذهبي بالنار وانفجرت بقاياه حتى صارت مسحوقًا وسقط في ماء البحر، ثم أجبر بني إسرائيل على شرب تلك البقايا25. ثم استدار نحو شعبه الناكر للجميل وقرر أن عقوبة هذا الشر لن تكون سوى بالسيف، فأمر رجال سبط «لاوي» بحمل سيوفهم وتقتيل رقاب بقية الأسباط تطهيرًا لما اقترفوه من خطيئة فادحة، واستمر رجال «لاوي» في تنفيذ قصاص النبي «موسى»، حتى سقط من بين أيديهم نحو ثلاثة آلاف رجل.

أما ذلك الساحر الملعون، فقد حكم عليه «موسى» حكمًا لم يرَه أحد مثله من قبل، فكما أحيا الصنم من الجمود وجعل له صوتًا، أصيب بلعنة عكسية، وأصبح كل من يلمسه يموت، فعاش «السامري» طريدًا

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

لا يقربه أحد ولا يعرف مصيره.

أقام «موسى»، بناءً على أوامر الرب، خيمة اجتماعات مقدسة، كي تسكن بها روح الرب في قدس أقداسها وتصبح مقر اتخاذ القرار أينما حلوا وارتحلوا؛ لذلك سُميت «المسكن»، بينما نُصِّب «هارون» كاهنًا أكبرَ للأسباط، وتسري الكهانة من نسله من بعده. وقد صنع «موسى» وأسباطه خيمته المقدسة من مواد الطبيعة التي وُجدت حولهم، مكونةً من شجر السنط الذي كان ينبت في البرية وجلود الحيوانات والذهب والفضة والنحاس الذي خرجوا به من مصر؛ حيث تكوَّنت الخيمة أو المسكن من البوص المطرز بمناظر لملائكة الكاروبيم وبداخلها قدس الأقداس المرتفع إلى نحو مترين مفصولًا بستار داخل الحرم ويسبقه الشمعدان والمذبح الذهبي وطاولة البخور. وكان يعلو الخيمة غطاء مصنوع من جلد الكباش لحمايتها من هطول الأمطار الكثيفة وأشعة الشمس الحارقة، بينما كان يسبق الخيمة فناء مكشوف يحيط به سور من الكتان، ويضم مذبح الأضاحي وحوضًا نحاسيًا لاغتسال الكهنة.

وبداخل قدس الأقداس، أمر الربُّ «موسى» بصنع تابوت العهد، ذلك الصندوق المقدس المصنوع من خشب السنط المطلي بصفائح من الذهب النقي، وفوق كل طرف من غطائه تمثال لملائكة الكاروبيم من ذهب يظلل الغطاء. وعلى كلّ من جانبي التابوت حلقتان من ذهب ملتصقتان بعصي التابوت لحمله. وكان التابوت يحتوي على المن وعصا «هارون» ولوحَي العهد المكتوب عليهما الوصايا العشر. وكان من قدسيته أن بني إسرائيل كانوا يحملونه في كل معاركهم تبارُكًا به؛ فهو يعطيهم الشعور بالأمان ومعه تحل بركة الرب.

*****

سنوات التيه والبحث عن وطن

بعدما جرى من قصاص النبي لجرم عبادة العجل، بدأ بنو إسرائيل في التفكير في وطن يستقرون فيه، بعدما أداروا ظهورهم لمصر ولم

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

يجدوا في تلك الصحراء المقفرة أي مستقر، وكان هذا الوطن هو أرض كنعان، تلك الأرض التي تفيض لبنًا وعسلًا. فلم يجدوا أمامهم من أرض سهلة المنال للعيش عليها سوى تلك الأرض. وعلى عكس حركة البشرية؛ حيث يستقر الشعب على أرض يتحد أفراده ليكوِّنوا عليها وطنا، كان بنو إسرائيل شعبًا دون وطن.

ولكن على غير المتوقع، وجد «موسى» وقومه على تلك الأرض أقوامًا أخرى يعمِّرون فيها، وإذا ما نزلوا عليها فهو ما يعني حربًا بين الأمة الجديدة وأقوام كنعان. أرسل «موسى» جواسيس من كل سبط كي يستطلعوا أمر تلك الأقوام ويخبروه بكل تفاصيل مدنهم من حيث نقاط القوة والضعف وفرق الحراسة وقلاع التحصين وآبار السقيا وغيرها. فعاد الجواسيس بعد أربعين يومًا محملين بالإحباط لما رأوه من قوة بأس وحسن تنظيم على الرغم من إقرارهم بخيرات مدنها من رمان وأعناب وتين، فآثروا عدم الحرب والاستكانة إلى ما هم عليه وعادوا إلى طبيعتهم الضعيفة، عدا شخص واحد كان له رأي مختلف، هو يشوع بن نون الإفرايمي ومعه كالب بن يفنة من سبط «يهوذا»، فقد صمما على الحرب ودخول كنعان بالقوة، فثار عليهما بقية ممثلي الأسباط وأرادا إحباطهما، بل وصل الأمر إلى تخويف بني إسرائيل وبث روح الهزيمة في نفوسهم من تهويل ما رأوه من رجال أشداء على تلك الأرض واستحالة الحرب معهم، ما تسبَّب في خوف الجميع وصراخهم وبكائهم من شدة الهلع، وأخذوا يتحسَّرون على خيرات مصر التي تركوها وتناسوا البؤس الذي عاشوا فيه والذل والخنوع اللذين ذاقوهما على يد «فرعون». وتصاعدت تلك الحالة من التذمُّر إلى حد الثورة على كلٍ من «موسى» و«هارون» والمطالبة بخلعهما من زعامة الأمة واختيار زعيم غيرهما كي يعيدهم مرة أخرى إلى مصر.

وجاء غضب الرب تلك المرة بأن كتب عليهم التيه في صحراء سيناء، فبعدما رفضوا خوض الحرب والرضا بالذل، ظلوا ماكثين وسط الرمال الحارقة والوديان الصلبة والحياة الصحراوية البائسة طيلة أربعين

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

سنة، تساقط خلالها كل مَن عصوا الرب ورفضوا دخول كنعان، حتى فني هذا الجيل العاصي ولم يروا أرض كنعان أبدًا بعدما حُرِّمت عليهم، وجاء بعدهم جيل جديد لا يعرف الخوف أو الخنوع، بل نشأ على القوة والعزة، كان قادرًا على قيادة الجيش الذي سيدخل أرض كنعان دون انكسار أو مذلة.

ولكن كعادتهم، أراد مشايخ بني إسرائيل إثارة الفتنة من جديد وإعادة الانقلاب على «موسى» وزعامته. فجاء ٢٥٠ من زعماء بني إسرائيل يريدون تأليب الشعب عليه وتحريك القلاقل ضده بعدما وعدهم بالحياة الرغدة وجعلهم يسكنون الصحاري الموحشة يعانون البرد والعطش، لكن الرب سانده غاضبًا من هذا التمرد، فانتشر المرض بين بني إسرائيل وسرت آلاف الحيات من بين صخور الصحراء تقرضهم وتبث سمومها عليهم حتى سقط منهم الآلاف. وسط كل تلك الأحداث لم يجد «موسى» إلا أن يشفع لشعبه المتمرد الناكر للجميل فأوحى له الرب من جديد بأن يصنع حية نحاسية ضخمة يلمسها كل مريض كي يبرأ.

*****

يهود ما بعد الخروج الأول

«موسى عبدي قد مات، فالآن قم، اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم، أي لبني إسرائيل» سفر يشوع

كان «موسى» النبي قد وصل إلى آخر أيامه، فجمع أتباعه وممثلي أسباط اليهود كي يختار منهم من يخلفه على زعامة الأسباط، فجاء الاختيار على يشوع بن نون، حفيد «يوسف» ممثل سبط أفرايم، ذلك الرجل الذي وُلد في مصر وظل خادمًا للنبي، فرافقه في كل تحركاته وتبعه حين نزل من الجبل ومعه الوصايا العشر، ولمع اسمه بين الأسباط بعد انتصاره في موقعة «رفيديم» وهو في عمر الأربعة والأربعين، وصمد برأيه في دخول كنعان عنوةً على الرغم من مخافة

maktabah.blogspot.com

الجميع. كان اسمه في البداية «شواع» فأضاف «موسى» له اسم الرب «يهو»، ليصبح «يهوشواع»، أي: يهوه هو الخلاص، ثم سمَّاه «يشوع». وما إن جاء أجل النبي «موسى» بعد ١٢٠ عامًا، حتى تولى «يشوع» قيادة بني إسرائيل وحمل رايتهم، فباركه الكاهن «إليعاز»، الكاهن الأعلى لبني إسرائيل، الذي نال المنصب بعد أبيه «هارون»، شقيق «موسى»، وناصرته بقية الأسباط.

*****

الطريق إلى أورشليم

أول ما فعله «يشوع» مع توليه الزعامة هو إخراج ذلك الشعب الضعيف بعد سنوات التيه من بطون صحراء سيناء؛ حيث لا زرع ولا ماء ولا غذاء، بينما كانت أعداد الأسباط تتزايد ونساؤهم تتوالد. وخرج جيل لا يعرف سوى الفقر والجوع، ولم يرث من أسلافه الذين عاشوا في رغد مصر سوى البؤس والشقاء، فلم تربطهم بأرض مصر على الرغم من خيراتها أدنى روابط، فتناسوا خيراتها عليهم وعلى أجدادهم، وتطلعوا نحو أورشليم.

وفي إحدى الليالي، تجلَّى الرب لـ«يشوع» وأمره بعبور نهر الأردن والتحرك نحو الأرض الموعودة، حينها أيقن «يشوع» بأن الأمر واجب التحقيق. وعند النهر، حدثت معجزة أشبه بمعجزة سيده «موسى»؛ حيث جف النهر وتمكن بنو إسرائيل من عبوره، وبعدها تجمعوا عند معسكر جلجال بسهل أريحا، فأمر «يشوع» بإقامة نصب تذكاري من اثني عشر حجرًا أخذت من قاع النهر تخليدًا لتلك المعجزة، فكما تجلَت معجزة «موسى» في شق اليم وعبور بني إسرائيل من خلال قاع أرضه، تكرر الأمر على يد خادمه من تجفيف نهر الأردن.

سارت جموع بني إسرائيل البدوية نحو كنعان أشبه بقطيع ضباع جائعة يضربهم الجوع والمرض، تهبط نحو مدن حضرية آمنة مستقرة مثمرة الأرض كثيرة الزرع، فاشتعل في قلوبهم الحسد والغيرة من

maktabah.blogspot.com

وجود سكان يقطنون مدنًا خصبة ينعمون بخيراتها وهم بدو رحل عانوا داخل مصر وخارجها، فحشدوا جموعهم كي يعودوا إلى أرض الميعاد ويأخذوا ما تطاله أيديهم من تلك الخيرات. وكانت أولى المدن التي قابلتهم هي أريحا، أقدم مدن العالم وكانت من الأهمية لأنها كانت تتحكم في الوديان الذاهبة إلى مدينتي «عاي» و«أورشليم». فاجتمع «يشوع» برجاله وأمر بإرسال اثنين من الجواسيس إلى المدينة كي يستطلعا أمرها. ومع تسللهما أسوار أريحا العالية ودخولهما المدينة الحصينة، نجحا في جمع ما يريدان من معلومات. ولكن ما إن شعرا بأن أعينًا من قادة أريحا تتعقبهما، استتر الجاسوسان عند امرأة زانية تُدعى «راحاب» فأنزلتهما بحبل من كوة؛ حيث كانت تسكن بقرب سور المدينة. ولكن قبل رحليهما قطعت عليهما عهدًا ليتوسطا في حمايتها هي وأفراد بيت أبيها إذا ما حقق العبرانيون مرادهم واقتحموا المدينة وخربوها، فأعطياها علامة أن تربط حبلًا من خيوط القرمز في الكوة التي أنزلتهما منها.

وكما تذكر التوراة، كان يطوف بأسوار المدينة سبعة كهنة في اليوم الواحد مرة طيلة ستة أيام ومعهم أبواق ينفخون بها يحملون على ظهورهم تابوت العهد، حتى جاء اليوم السابع فطافوا حولها سبع مرات ونفخوا بالأبواق بصوت عالٍ وهتفوا هتافًا مرتفعًا فتزلزلت أحجار أسوار المدينة حتى سقطت. ولكن من المحتمَل أن سقوط أسوار أريحا كان بسبب بعض الزلازل التي عادةً ما كانت تضرب تلك البقعة، وهو ما صادف حصار بني إسرائيل للمدينة، فربطت التوراة بمبالغة بين أصوات الأبواق وتراتيلهم العالية وسقوط الأسوار ونجاحهم في دخول المدينة الحصينة.

وما إن دخل «يشوع» وقومه أريحا، حتى رفعوا سيوفهم وأطلقوا رماحهم وذبحوا كل مَن قابلهم من سكان المدينة من رجال ونساء وشيوخ، حتى الماشية والأغنام، عدا بيت «راحاب» البغي التي آوت الجاسوسين فكانوا عند عهدهم بها وعصموها من المذبحة. وأشعلوا

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

النيران في كل البيوت والدكاكين حتى التهمت كل ما بلغته أسنتها عدا الذهب والفضة، فاغترف جند «يشوع» من كنوز المدينة وقدموها لبيت الرب. إلا أن أحد جند «يشوع»، ويُدعى عاخان بن كرمي، من سبط «يهوذا»، قد طمع في جزء من تلك المغانم فأخفاها لصالحه في خيمته عاصيًا أوامر الرب، فكانت تلك المغانم، كما ذُكر في سفر «يشوع»: رداء شنعاري ملكي موشى بالذهب ومئتا شيقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شيقل.

وبعد أن استقر الأمر في أريحا، تحرَّكت جماعات بني إسرائيل نحو المحطة التالية فكانت بلدة «عاي»، فأرسل «يشوع» جواسيس لاستكشاف تلك البلدة، وعاد الرجال وأبلغوه بضعف الموقع وقلة سكانه، فيكفي أن يصعد نحو ألفي رجل أو ثلاثة آلاف رجل لغزو البلدة، وحشد «يشوع» ثلاثة آلاف لاقتحامها وغمر قلبه الشعور بالقوة بعدما حقق نصرًا كبيرًا في أريحا، إلا أنه فشل في ذلك الأمر وقُتل نحو ٣٦ من رجاله. حينها شعر «يشوع» بأن اللعنة حلت على بني إسرائيل، فسقط على وجهه أمام تابوت العهد باكيًا وهو يشق ملابسه من الخوف والحزن ومعه شيوخ الأسباط، فأوحى له الرب بأن بينهم لصًا خائنًا للأمانة هو السبب في تلك الهزيمة الساحقة.

أجرى «يشوع» قرعة لمعرفة الخائن بين جموع شعبه، فوقعت القرعة على «عاخان» فاعترف بجرمه المشين وسرقته كنوزًا مُنحت للرب، فأخذ «يشوع» «عاخان» والغنيمة وكل أهل بيته فرجمه جميع بني إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار.

بعد ذلك، شن «يشوع» الهجوم على «عاي» مرة أخرى وصنع لها كمينًا؛ حيث تظاهر بالتقهقر كما حدث في المرة الأولى، حينها خرج جميع رجال «عاي» وراءهم وتركوا المدينة مفتوحة، فقام الكمين بسرعة من مكانه ودخلوا المدينة وأخذوها، وأحرقوها بالنار واستولوا على كنوزها وذبحوا أهلها.

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

أطول يوم في التاريخ

وجاء الدور على «جبعون»، تلك البلدة الصغيرة القابعة شمال غربي أورشليم، فما إن سمع سكانها بما حدث لأريحا وعاي حتى سارعوا في عقد صلح بينهم وبين «يشوع» وجماعته، يخادعونهم ويأمنون شرورهم ويضمنون عدم محاربتهم إياهم؛ إذ ساروا نحو معسكر «يشوع» وهم بثياب رثة بالية وخبز يابس ونعال متشققة وادعوا أنهم قادمون من بلدة بعيدة يبغون الصلح مع بني إسرائيل. فوافق «يشوع» على عقد الصلح، ولكن سرعان ما اكتشف خديعة أهل جبعون له وأنهم قريبون منهم، وشعر «يشوع» بأنه لم يلجأ إلى مشورة الرب واعتمد فقط على حكمته، فقرر استعبادهم وجعلهم جامعي حطب وسقاة ماء لبني إسرائيل. وما إن وصل أمر الصلح وخروج جبعون من نفوذ ملوك الأموريين حتى تشكل حلفٌ من خمسة ملوك لضرب جبعون، هم ملوك حبرون ويرموت ولخيش وعلجون ومعهم ملك أورشليم «أدوني صادق» الذي تزعم هذا الحلف، وقرروا ضرب جبعون. فهرع أهالي جبعون نحو «يشوع» لنجدتهم وذكّروه بالعهد الذي بينهم، فهمَّ «يشوع» لنصرتهم وواجه هذا الحلف بقوة واستمرت الحرب الطاحنة يوم الجمعة حتى قاربت الشمس على المغيب، وكان النصر بالقرب من بني إسرائيل، إلا أنه مع غياب الشمس بدأ ليل يوم السبت الذي حرَّم فيه الربُّ القتال. حينها حدثت المعجزة، رفع «يشوع» يديه إلى السماء وطلب من الرب أن يمد اليوم ليتمكن من النصر، تطلع «يشوع» للسماء فرأى الشمس ورأى القمر في وقت واحد، رأى الشمس في كبد السماء فوقه تمامًا ورأى القمر على الجانب الآخر، توقفت الشمس عن الحركة وبقي القمر مكانه ليمتد اليوم دون غروب حتى تستمر الحرب. انسحق الملوك الخمسة، حيث قد اختبأ «أدوني صادق» والملوك الأربعة المتحالفون معه في مغارة حتى انتهت المعركة بانتصار ساحق لـ«يشوع» وأخذ الملوك الخمسة بأمر «يشوع» عند غروب الشمس وقُتِلوا وعُلِّقت أجسادهم على الأشجار، ثم طرحت جثثهم في المغارة .

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة

www.maktabbah.blogspot.com

وبعدها تصف التوراة اجتياز «يشوع» وجماعاته «لخيش» واقتحامها، ثم انتقل من «لخيش» إلى «عجلون» وانتصر عليها، ومنها انطلق إلى «حبرون» وحاربها، وهكذا دانت جميع أراضي كنعان لحكم «يشوع» وبني إسرائيل بعدما اقتحمها بالسيف وأحرق بيوتها وذبح سكانها. واستقر «يشوع» بقواته في بلدة «شيلوه» ونصب فيها خيمة تابوت العهد لتكون مقره، ثم قسم الأرض التي حصل عليها بين قبائل الأسباط ليسكنوها ويحكموها بالقرعة، عدا سبط اللاويين الذين انفردوا بأعمال الكهانة، وترك ست مدن على ضفتي نهر الأردن كي يسكنها المنبوذون مِمَّن أدينوا بالقتل الخطأ.

ولكن يبدو أن التوراة قد قدمت تضخيمات جمة في وصف وجود قبائل بني إسرائيل بقيادة «يشوع» في كنعان من حيث الغزو والتدمير، فمهما بلغ بؤس بني إسرائيل وقسوة ما مروا به، سواء بنهاية وجودهم في مصر أو إبان سنوات التيه، لم يُصنع منهم محاربون أقوياء، ولكن يبدو أنهم قدموا إلى كنعان متسللين كما كانت طريقتهم عندما وفدوا إلى مصر. فقد أدَّوا دور المقاتلين المأجورين لملوك كنعان في صدامهم مع بلدات مجاورة لهم، وتوغلوا في أراضيهم كحماة مناصرين لقبائل كنعان حتى استوطنوا بها. كما أن الشواهد التاريخية تناقض ما ذكرته التوراة في فتح جميع أراضي كنعان؛ حيث ظلت أورشليم في أيدي أقوام اليبوسيين وعاش بنو «يهوذا» بها سكانًا وليسوا فاتحين حتى مجيء حكم «داوود»، وعاشوا وسط الكنعانيين والحيثيين واليبوسيين والفلستيين، بينما بقيت عدة أراضٍ كنعانية بعيدة عن سيطرة بني إسرائيل.

ويبدو أن بني إسرائيل قد عرفوا طعم المدنية والاستقرار بعدما كانوا بدوًا رُحَّلًا، وتعلموا فنون الزراعة بدلًا من الرعي، وأتقنوا أساليب الري والفلاحة وتخزين الثمار والحبوب وتربية الماشية، كما أجادوا بناء البيوت والمنازل بدلًا من الخيام وتأسيس القرى والمدن وتخطيطها وإنشاء الحصون عند أطرافها، وإن ظل الفارق بينهم وبين الأقوام التي

maktabbah.blogspot.com

جاوروهم واضحًا.

بعد أن شاخ «يشوع» وأصبحت أيامه معدودة، وكان قد أتم من عمره ١١٠ أعوام حسب ما يذكره السفر المسمى باسمه، جمع قبائل بني إسرائيل وحثهم على عبادة الرب الواحد وعدم الانسياق وراء ما يعبد الكنعانيون، فكان يشعر بميل قلوب قومه إلى أوثان الكنعانيين وتأثرهم بها وتركهم عبادة الرب الواحد والإشراك به، لكنه أنهى حياته بما ذكر في سفره: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب».

*****

عصر القضاة

ما إن فاضت روح «يشوع» حتى انفرط عقد بني إسرائيل وتفرقت أسباطه، فتشعَّبت القبائل في الأراضي التي منحها إياهم «يشوع» وتقسمت القبائل بدورها إلى عشائر مفككة متناحرة فيما بينهم، وتغلغلوا بين الأقوام الذين جاوروهم بالمصاهرة والجيرة، فأخذوا من تقاليدهم وعاداتهم، بل وصل الأمر إلى أنهم تركوا عبادة الرب الواحد وتناسوا وصية كلَ من «يشوع» و«موسى» وانجرفوا لعبادة الأوثان التي عبدها أهالي كنعان، مثل بعل وعشتار، فأقاموا لهم التماثيل وقدموا باسمهم الأضاحي والقرابين، فنزلت عليهم لعنة الرب بيد ملوك كنعان يبطشون بهم وينكلون بهم ويستعبدونهم شر استعباد، فشعر زعماء قبائل بني إسرائيل بالخطر وبدؤوا في الترابط مرة أخرى، وإلا حاق بهم الهلاك الأكيد، فبدأت حقبة جديدة من تاريخ بني إسرائيل على أيدي هؤلاء الزعماء الذين عُرفوا باسم القضاة. وكان كلما قدم إليهم قاضٍ ليصلح أمرهم اعتدلوا طيلة حياته، وبعد أن يموت ينجرفون مرة أخرى لما عبده أهل كنعان ويزدادون في فجورهم وفساد أخلاقهم، كما فعل أسلافهم مع «موسى» حين مالوا إلى عبادة العجل.

ولم تكُن كلمة قضاة في تلك الآونة بمعناها الوظيفي، وهي التشريع وإصدار الأحكام والفصل في القضايا، لكنها عبَّرت عن زعماء قبائل

maktabah.blogspot.com

الأسباط الاثني عشر، الذين كانوا كهنة محاربين وأدّوا دورًا سياسيًا دينيًا في قيادة القبائل ومحاولة توحيدها وادعوا كما ذُكر في التوراة أنهم نُصبوا بأوامر الرب، فكان نظام تلك الأسباط أشبه بنظام القبائل، يتزعمه هؤلاء القضاة، أكثر منه نظام دولة ذات سيادة أو نظام. وكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس للكبراء إذا اقتضى الأمر، وقد يُرفع الأمر إلى القضاة الأكبر حيث زعماء القبائل للفصل فيه.

ويعتقد البعض، في ضوء سفر القضاة، أن تلك الفترة من حكم القضاة قد امتدت نحو أربعة قرون ونصف القرن أو ثلاثة قرون ونصف القرن، ولكن من خلال مقاربة العلماء للمصادر التاريخية تبيَّن أن عصر القضاة، بداية من موت «يشوع» وحتى الحكم الملكي، امتد قرنين ونصف القرن أو قرنًا واحدًا على الأكثر، حكم فيه قبائل بني إسرائيل نحو خمسة عشر قاضيًا، بعضهم عُرفوا بالقضاة الكبار وبعضهم الآخر بالقضاة الأصغر.

ومع بداية انحراف بني إسرائيل عن سنن «يشوع» وأسلافه، ابتلاهم الرب بالملك «كوشان»، ملك آرام، فاستعبدهم ثماني سنوات، ذاقوا فيها ألوان العذاب والذل حتى ظهر لهم القاضي «عثيئيل بن قناز»، وهو الأخ الأصغر لـ«كالب بن يفنة»، رفيق «يشوع»، فانتشلهم من ذل ملك آرام وأعاد توحيدهم وحكمهم لمدة أربعين سنة.

وبعد أن مات «عثيئيل»، عاد بنو إسرائيل إلى انحرافهم وطغيانهم وعادوا إلى الشرك مرة أخرى، فأذلهم الرب مرة ثانية على يد «عجلون»، ملك موآب، فحشد بني عمون واحتل أريحا التي كانت في يد بني إسرائيل، وحكمهم لمدة ١٨ سنة فرض عليهم خلالها الجزية المجحفة وعاملهم بالذل والاستعباد. في تلك الفترة خرج من بني إسرائيل «أيهود بن جبرا» من سبط «بنيامين» وتربص لـ«عجلون» حتى تسلل إلى قصره وقتله في حجرته وخلّص قومه من ظلمه، مستعينًا برجال سبطه وسبط أفرايم بن يوسف، فجاؤوا لنصرته

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

ونجحوا في استخلاص أريحا مرة أخرى ودام حكمه نحو ٨ سنوات.

وبعد رحيل «أيهود»، جاء من بعده شعجر بن عنات، ثم خلفته «دبورة»، أول قاضية في تاريخ بني إسرائيل، ويعني اسمها «نحلة»، وكانت تقيم عند نخلة عند جبل أفرايم سُميت باسمها (نخلة دبورة)؛ حيث كانت تحكم بين الناس عندها. وفي عهدها كان «بابين»، ملك حاصور، قد أمر قائد جيشه «سيسرا» بشن حروب ضارية على بني إسرائيل فشتت شملهم وباعد بين قبائلهم ولم يكُن منهم من يجرؤ على مواجهته. فدعت «دبورة» إلى توحيد القبائل وأسندت قيادة القوات إلى قائد يُدعى «بارق»، فجمع عشرة آلاف رجل من سبطي «زبولون» و«نفتالي»، ثم دعمه متطوعون من أسباط «يساكر» و«منسي» و«بيت يوسف» و«أفرايم» و«بنيامين»، في حين وقف رجال أسباط «راؤبين» و«جاد» و«شير» و«دان» على الحياد في المعركة؛ لأن مصالحهم لم تتعارض مع ملك حاصور، وفضّلوا مصالحهم الشخصية على مصالح الأسباط كافة، فآثروا تجنُّب الحرب ولم يشتركوا مع بني جلدتهم، بالإضافة إلى قبيلة تُدعى «ميروز» لعنت صراحةً في التوراة لعدم اشتراك رجالها في الحرب.

وعلى الرغم من كثرة عدد جيش سيسرا وعرباته الحربية الحديدية فإنه سقط في بئر الهزيمة أمام قوات «بارق» وقُتل أغلب رجاله.

وما إن قاربت رحى المعركة على الانتهاء حتى هرب «سيسرا» على قدميه واختبأ في خيمة امرأة من بني إسرائيل تُدعى «ياعيل» وطلب منها شربة ماء، فرحبت به وقدمت له لبنًا بدل الماء ليطفئ عطشه، وما إن شربه حتى غاص في النوم، فخلعت «ياعيل» وتد الخيمة وضربت «سيسرا» على وجهه ضربًا دمويًا حتى مات(34)، وعلى الرغم من أن ما فعلته «ياعيل» كان منافيًا لأعراف كرم الضيافة بالبادية وإكرام الهارب، فإن التوراة امتدحتها وجعلت من فعلتها عملًا بطوليًا.

وانتهى عصر «دبورة» وعاد بنو إسرائيل إلى شرورهم، فجاء العقاب

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

مرة أخرى، لكن تلك المرة كان على أيدي المديانيين، فغزوا أراضي الأسباط كأسراب الجراد واستعبدوهم سبع سنين يسرقون زروعهم وينهبون مواشيهم

ولم يبقوا من خيراتهم شيئًا حتى هربت القبائل عند أطراف المدن وسكنوا الكهوف والحصون. فأوحى الرب للقاضي «جدعون» (ويعني اسمه الحاطب أو القاطع) بتولي أمر الأسباط والدفاع عنهم، على الرغم من أنه كان من سبط «منسي»، أضعف أسباط بني إسرائيل. وأول ما قام به «جدعون» هو إقامة مذبح للرب تقدم عليه الأضاحي باسمه، ثم هدم مذبحًا للمعبود «بعل» الكنعاني وكسر تمثالًا له قد أقامه أبوه من قبل وأقدم على تلك الفعلة ليلًا خشية غضب أهل بيته وبقية الأسباط الذين عبدوا «بعل».

حشد «جدعون» رجالًا من جميع الأسباط لمواجهة أهل مديان، فجمع نحو ثلاثين ألف رجل، إلا أن أوامر الرب اقتضت بتصفيتهم حتى يعرف من سيحارب حقًا ومن سيتقاعس، حتى تقلص العدد إلى ٣٠٠ رجل فقط من أصل ثلاثين ألفًا، بينما تخلف البقية وآثروا البقاء كعادة بني إسرائيل. فجمع «جدعون» مَن بقي مِن الرجال الراغبين في القتال واتجه نحو معسكر المديانيين ليلًا وهاجمهم بضراوة، فشاع الاضطراب في صفوف المديانيين حتى حارب بعضهم بعضًا وهربوا إلى الأردن عبر السهول المفتوحة على ظهور جمالهم حتى حدود بلادهم، ثم أرسل «جدعون» رسله إلى سبط «أفرايم» للقاء المديانيين وقطع خطوط الرجعة عليهم عند مخاوض الأردن، فقبض هؤلاء على الهاربين وقتلوا أميري المديانيين، وواصل «جدعون» ورجاله مطاردة المديانيين إلى حدود الصحراء وأسر ملكي مديان وقتلهما، وأصبح انتصار «جدعون» على المديانيين يومًا مشهودًا حتى سمي في سفر إشعياء «يوم المديانيين»، فقد منع تلك القبائل من الإغارة على بني إسرائيل مرة أخرى.

وكان نتيجة هذا الانتصار الكبير أن تملّق كثيرٌ من رجال الأسباط

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة

www.maktabbah.blogspot.com

لـ«جدعون» حتى طالبوا بتنصيبه ملكًا عليهم، وبأن يكون الحكم وراثيًا لأولاده من بعده؛ حيث أنجب «جدعون» أكثر من سبعين ولدًا من زوجات عدة، إلا أنه رفض الأمر وبقي الأمر قبلي الحكم، وأقام «جدعون» محرابًا وضع فيه أقراطًا ذهبية من غنائم المديانيين، إلا أنه قد صنع منها تمثالًا عبده بعضُ قومه، وهو ما دلّ على أن عقيدة التوحيد ظلت متزعزعة بين بني إسرائيل وكلما سنح الأمر بالبعد عن طاعة الرب زاغت قلوبهم لمعبودات أخرى.

وبعد وفاة «جدعون»، طمع أحد أبنائه وهو «أبيمالك» في أن يكون زعيمًا بعد أبيه. وكان «أبيمالك» من إحدى عشائر مدينة شكيم، ذات السلطة والنفوذ بين القبائل، فاستعان بأخواله وجمع منهم أموالًا وعصابات اتجهت نحو بلدة عفرة، حيث بيت أبيه وجاء بأمر لم يعتده أحدٌ من بني إسرائيل، فقتل جميع إخوته السبعين في مجزرة عنيفة، لم ينجُ منها إلا الأخ الأصغر، واسمه «يوثام»؛ حيث اختبأ في بئر بين شكيم وأورشليم.

وعلى الرغم من تأييد أهل شكيم له فإنه بعد ثلاث سنوات من حكمه قامت ضده فتنة في شكيم، فقام «أبيمالك» لمحاربتها ونجح في إخماد الفتنة، ونجح في أخذ المدينة.. ولكنه وهو يطارد الثائرين الذين هزموا احتموا في برج قوي في وسط مدينة تاباص، وإذ كان يهاجم البرج طرحت امرأة قطعة رحى على رأسه فشجت جمجمته. ولما رأى أنه قد جُرح جرحًا مميتًا، وحتى لا يُقال إن امرأة قتلته، أمر حامل سلاحه أن يقتله بسيفه فطعنه الغلام فمات.

تولى بعد «أبيمالك» عدة قضاة صالحين مثل «تولع بن فواه» و«يائير الجلعادي»، وعاش بنو إسرائيل في عهدهما في حال سلم وهدوء حتى غرتهم أنفسهم وعادوا إلى نفس سلوكهم المريض وطباعهم القبيحة في عبادة أرباب كنعان وترك عقيدة الوحدانية وتقاتلهم بينهم في حروب أهلية، ودارت الدائرة نفسها مرة أخرى فانصب عليهم غضب الرب ولعناته على يد الفلستيين والعمونيين. فخرجت قبائل بني

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

إسرائيل إلى ربهم «يهوه» يرجون منه الغفران ويطلبون منه قاضيًا يُخلّصهم من عذاب العمونيين والفلستيين، فلم يجدوا سوى «يفتاح الجلعادي»، ذلك الرجل الجبار الذي عاش مع مجموعة من العصابات مفتولي العضلات أشداء البأس بأرض «طوب» بعدما طرده إخوته لكونه ابن امرأة زانية وليس أخاهم الشرعي. فوفد إليه رؤساء الأسباط يرجونه قيادتهم وصد هجمات الفلستيين وأعوانهم، فرفض في أول الأمر لأنهم لم يعترفوا بنسبه، لكنه لما رآه من سوء حالهم وتشتُّت أمرهم ومدى الخطر الذي أصبح يحدق ببني إسرائيل، وافق على الزعامة.

حاول «يفتاح» في بداية الأمر أن يلجأ إلى السلم مع «عمون»، إلا أن هذا الأمر لم يفلح، فجمع الرجال والسلاح وشن عليهم حربًا كبيرة، ولكن قبل أن يخرج للحرب نذر نذرًا هو الأخطر في تاريخ عصر القضاة؛ حيث نذر بأنه إذا انتصر في تلك الحرب فسوف يقدّم أول شخص من بني جلدته يقابله بعد انتصاره في الحرب قربانًا للرب، فقد كانت القرابين البشرية معروفة ببلاد النهرين وأرض كنعان على الرغم من أنها كانت محرمة في العقيدة اليهودية. وسارت الأمور كما تمناها وانتصر «يفتاح» ورجاله على «عمون» وطردوهم من أراضيهم، حينها حق عليه أن يفي بنذره. وكانت الصدمة حين عاد من الحرب ودخل بلدته، فرأى ابنته الوحيدة هي التي تخرج ومعها الدف وترقص ابتهاجًا بالنصر، فاضطر إلى تنفيذ نذره فيها وصعد بها إلى محرقة فوق الجبل.

وبعد هذا الانتصار، تمرد سبط «أفرايم» عليه بحجة أنهم لم يدعوا إلى الحرب ونشبت بينه وبينهم عداوة كبيرة، ربما لرغبتهم في انتزاع الزعامة منه، فحاربهم «يفتاح» وانتصر عليهم وكسر شوكتهم وتسيَّد قومه حتى مات.

*****

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة

www.maktabbah.blogspot.com

«شمشون» و«دليلة»

وبعد «يفتاح»، وصل إلى مكانة القاضي كل من «إبصان» و«إيلون» و«عبدون»، فكانت عهودهم هادئة دون حروب أو صدامات، حتى انحرف بنو إسرائيل كعادتهم وصنعوا الشرور والكبائر وعبدوا أرباب كنعان وقدموا لهم القرابين والتماثيل، حينها خرج من بينهم قاضٍ غريب الأطوار عُرف في التاريخ بـ«شمشون الجبار»، ذلك الرجل ضخم الجثة أشعث الشعر يأتي بأفعال مشينة غير مألوفة على حال القضاة، فكان كثيرًا ما يتردد على الحانات وبيوت الدعارة. ولم يكُن «شمشون»، مثل باقي القضاة، حريصًا على قيادة شعبه وتخليصهم من الأقوام المعادية التي استعبدتهم، لكنه كان يشنُّ عليهم ضربات خاطفة لمجرد استعراض قوته الخارقة، بينما كان كل تركيزه واهتمامه في مغامراته العاطفية واتباع أهوائه وشهواته.

كانت أم «شمشون» عاقرًا مثل «سارة»، زوجة النبي «إبراهيم»، فأتاها الملاك وبشرها بصبي فعرفت هي وزوجها أنه سيكون من المنذورين وتُكرَّس حياته لخدمة الرب وتنفيذ أوامره، فيمتنع عن شرب الخمر أو ملامسة جلد ميت أو حلاقة شعره الذي سيكون فيه قوته وعنفوانه.

وما إن وصل إلى سن الشباب، حتى تعرَّف «شمشون» إلى امرأة فلستية ضد رغبة والديه، وفي طريقه إليها قابل أسدًا فقتله ووجد في أحشائه نحلًا فأكل من عسله، وما إن وصل إلى بلدة «تمنة» حيث أرض عروسه، حتى أراد أن يلاعبهم بأحجية ووعد بهدية ثمينة لمن يحلها، فسألهم: هل هناك نحل في فم أسد؟ فلم يعرف الفلستيون الإجابة، لكنهم طمعوا في الهدية الثمينة، استنجدوا بزوجته التي ألحَّت على «شمشون» حتى عرفت منه الجواب. فأخبرتهم بالحل وقدم لهم الهدية، لكنه اكتشف خيانة زوجته وإفشاءها سره لقومها فهجرها.

بعد مضي وقت، عاد «شمشون» إلى «تمنة» كي يصالح زوجته، لكنه

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

وجدها قد تزوجت بشخص آخر ورفض أهلها أن يسمحوا له بأن يدخل البلدة. فقرر «شمشون» الانتقام منهم بطريقة غريبة، أمسك ثلاثمائة من حيوان ابن آوى، ووضع مشعلًا في ذيولها، ثم أضرم المشاعل بالنار وأطلق ابن آوى بين مزارع الفلستيين فاحترقت عن آخرها. فهجم الفلستيون على العبرانيين انتقامًا لما فعله بأراضيهم، فاجتمعت الأسباط كي تلوم «شمشون» على ما فعله من إثارة غضب الفلستيين، فأشار عليهم بأن يسلموه لهم. واعتقد الفلستيون أنهم نجحوا في القبض عليه وإذلاله جزاء ما فعله بهم، لكن يذكر لنا سفر القضاة بأنه نجح في فك وثاقه وأمسك فك حمار وضرب به ألفًا من الفلستيين.

ولم ينتهِ «شمشون» من مغامراته مع النساء؛ حيث عرف بغيًا من غزة كان يتردَّد عليها، وفي إحدى المرات التي كان فيها بمنزلها، عرف الفلستيون بأمره وهجموا عليه مرة جديدة بغية قتله عند طرف المدينة عندما يخرج، فاستيقظ «شمشون» ليلًا وخلع أبواب المدينة على كتفيه وصعد بها إلى الجبل هربًا من كمين الفلستيين.

وعاد «شمشون» إلى غزة في مغامرة ثالثة، لكنها هي التي قضت عليه، فقد عرف بغيًا أخرى، هي «دليلة» الفلستية، واحتالت عليه بعدما أوقعته في غرامها حتى عرفت أن سر قوته يكمن في شعره الكثيف الذي لا يحلقه أبدًا. وما إن نام في بيتها حتى أحضرت رجالًا من الفلستيين ومعهم مقص وجزوا شعره حتى لم يبقَ منه شيء من القوة. وما إن استيقظ «شمشون» حتى وجد نفسه حليق الرأس مقيدًا بسلاسل من النحاس فحاول أن ينفك منها كما كان يفعل كل مرة، لكن قواه قد خارت بعدما فقد سر عنفوانه. فأمسك به الفلستيون وقلعوا عينيه وأحضروه مكبلًا حتى غزة ووضعوه في السجن.

وكان خبر القبض على قاضي العبرانيين «شمشون»، الذي أراهم الأهوال وأذاقهم الذل والهوان، قد عمَّ بين أوساط قبائل الفلستيين، فاجتمع أقطابهم للفرح والاحتفال بتلك المناسبة الخيالية، وأمروا بإخراجه من السجن ووضعه أمامهم بالمعبد كي يسخروا منه. فتجمع

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

الآلاف من الفلستيين عند أسطح المعبد ليروا ذلك الجبار وهو محط السخرية والإهانة. وما إن خرج «شمشون» من حبسه وهو مكبل حتى انهالت عليه عبارات الشتائم والتوبيخ، فالتفت «شمشون» إلى ما حوله واستند إلى عمودين ضخمين حتى تصدعا وانهار سقف المعبد وجدرانه على كل مَن فيه، حتى ماتوا جميعًا، بمن فيهم «شمشون».

ظل أمر بني إسرائيل كما هو، خاضعين أذلاء للفلستيين الذين سيطروا على أراضي كنعان بفضل اكتشافهم الحديد، حيث براعتهم في تطويعه، وقد صنعوا منه أسلحة أكثر فتكًا وقوة من عجلات وتروس ودروع وسيوف ورماح، بينما انزوى العبرانيون نحو المناطق الجبلية المحصنة بعيدًا عن كلَ من الفلستيين والمصريين.

*****

مصر ضد شعوب البحر... أعداء إسرائيل

عدو عدوي.. صديقي

(حكمة هندية قديمة)

ولكن أين مصر من كل ما حدث؟

منذ أن طرد «أحمس» قبائل الهكسوس الغازية، حيث تمكّن من تأسيس دولة قوية بسطت سيطرتها على كل أنحاء البلاد، أصبح هناك تطور في الإدارة والجيش وكل مظاهر المدنية، وهو ما جعل مصر تدخل في حقبة جديدة عُرفت باسم الدولة الحديثة، وتعاقب إلى عرش البلاد ملوك محاربون صنعوا من جيش مصر أسطورة مهيبة ونجحوا في مدّ نفوذهم خارج الحدود، حتى وصل الملك «تحتمس الثالث» بنفوذه إلى نهر الفرات، خاص خلالها معركة من أشرس معارك العالم القديم، هي معركة مجدو، التي تدرس خطتها في الأكاديميات العسكرية حتى الآن. ففي العام الثالث والعشرين من حكمه، في أواسط القرن الخامس عشر، واجه الملك تحتمس الثالث تحالفًا

عسكريًا من ملوك كنعان، بقيادة ملك قادش، بعد أن أشعلوا نار التمرد ضد الوجود المصري ببلاد الشام، فتحرك الملك المصري بنفسه وسط جيشه المكون من العربات الحربية والمشاة ليصل عدد الجيش إلى ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف رجل، وسار نحو مدينة مجدو، التي تحتشد عندها قوات التمرد، تلك المدينة المحصنة والواقعة على طريق التجارة بين مصر وبلاد النهرين. وكان هناك طريقان أساسيان للوصول إلى تلك المدينة، أحدهما أطول وأكثر رحابة وأمانًا، والآخر مباشر نحو المدينة، لكنه ضيق وأكثر خطورة ولا يمكن للقوات سوى السير في صف واحد، وقد يخاطر المصريون بفقد القوات شيئًا فشيئًا، وعلى الرغم من ميل قواد «تحتمس الثالث» إلى الطريق الآمن، فإنه أمر باتخاذ هذا الطريق الجبلي الواعر، معتمدًا على المعلومات الواردة من كتائب الاستطلاع بعدما عرف أن التحالف لم يفكر في خوض «تحتمس» الحرب من هذا الطريق ولم يتركوا فيه أي قوات. وكانت تلك المفاجأة المحفوفة بالمخاطرة التي خاضها «تحتمس الثالث» قد كتبت له نصرًا مدويًا حين شنَّ هجومًا حاسمًا بقيادته في جنح الليل نجح خلاله في القضاء على ذلك التحالف وتأكدت الهيمنة المصرية على أراضي كنعان وبناء إمبراطورية مهيبة لا تغيب عنها شمس الشرق الأدنى.

ولكن بعد قرن من تلك السيطرة، وصل إلى عرش مصر الملك «أمنحتب الرابع» في أواسط القرن الرابع عشر. وبدأ هذا الملك في نشر دعوة دينية جديدة، مفادها نبذ جميع المعبودات المصرية والتقرب إلى معبود واحد هو المعبود «آتون» بالطقوس والقرابين والعطايا، وتمثَّل في شكل قرص الشمس ذي الأيادي الممدودة، ونتج عن تلك الدعوة أنه غيَّر من اسمه إلى «أخناتون»، أي: «النافع لآتون»، واتجه بالحكم والإقامة من طيبة بالجنوب إلى مدينة جديدة لم يمسها أحد، هي آخت آتون، أي: أفق آتون، الواقعة حاليًا بتل العمارنة بالمنيا.

ارتحل «أخناتون» وعائلته إلى العاصمة الجديدة وانزوى فيها يقدِّس

معبوده الجديد، تاركًا مهام السياسة غير عابئ بما يحدث في أرجاء إمبراطوريته، فظهر مجموعة من الأمراء أحسوا بانسحاب السيطرة المصرية وبدأت أطماعهم في الاستقلال تظهر، وطردوا الحاميات المصرية، بينما هرع بعض الأمراء الموالين لمصر في إرسال خطابات تحذير للملك تستجديه لإدراك الموقف الذي أصبح في مرحلة الخطر؛ إذ إن مصر بدأت تفقد نفوذها شيئًا فشيئًا وسط تنامي قوى جديدة بالمنطقة من الحيثيين والعموريين تستحوذ على مدن كنعان، ولكن ملك مصر لا يبالي، غارق في عالمه الخاص بين أسوار مدينته. فهاجم العموريون المدن الكنعانية واحتلوها الواحدة بعد الأخرى ابتداءً من «بيبلوس» ثم «بيروت»، وبعدها «صور» وحتى «أورشليم»، حتى ضاعت هيبة مصر في بلاد كنعان.

وجاءت الصحوة المصرية مرة أخرى عندما تولى أمرَ مصر مجموعةٌ من قادة الجيش، بدءًا من الوزير «آي» ثم القائد «حور محب»، ومن بعده جاءت أسرة عسكرية جديدة عُرفت باسم «الرعامسة»، كان أشهرهم على الإطلاق هو «رمسيس الثاني» الذي اصطدم مع أطماع دولة جديدة هي دولة الحيثيين بالشمال، حين التقوا في معركة قادش، لكن يبدو أن القوتين كانتا على درجة من التكافؤ فلم يظفر أيهما بنصر كامل واقتسمت الدولتان السيطرة على ساحل الشام.

ولكن يبدو أن عدوًّا آخر قد ظهر في الأفق وجاء ليطمع في خيرات الشرق، وهو تلك القبائل البربرية القادمة من أرخبيل بحر إيجة، وعُرفت باسم شعوب البحر، فغزت ساحل الشام، ومن بينها قبائل الفلستيين الذين هاجموا مدن كنعان وساكنيها من قبائل بني إسرائيل، فتلك القبائل كانت أكثر قوة وأشد بأسًا وأوفر تسليحًا فنجحوا طيلة عقود في السيطرة على أقوام العبرانيين. ووصل الأمر بهم في الطمع بمصر نفسها إلى أن خططوا لغزوها وحاولوا دخول العاصمة المصرية السابقة منف، فخرج عليهم الملك «رمسيس الثالث» في العام الثامن من حكمه في أواخر القرن الثاني عشر، وحدثت مواجهة برية بحرية

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

ضخمة بالدلتا، وعلى الرغم من تفوق تلك الشعوب وخبرتهم في الملاحة، فإن جنود الملك المصري قد استبسلوا في الدفاع عن أرضهم، فاصطفَّ الرماة على جانبي النيل يرشقون سفن الغزاة الفلستيين بالسهام إذا حاولوا الرسو على أرض مصر، بينما اشتبكت البحرية المصرية مع سفنهم باستخدام الخطاطيف، وانتهت المعركة بسحقهم برًّا وبحرًا وإنهاء وجودهم في مصر، لكن تلك الأقوام قد استقرت جنوبي كنعان ليؤسسوا تجمعًا قويًّا وفقدت مصر وجودها في الشام للأبد.

*****

ضياع تابوت العهد.. الهلاك قادم

يبدو أن الأمر تلك المرة لم يكُن مثل سابق المرات؛ فقد كان استقرار القبائل الفلستية في كنعان يعني تهديدًا مباشرًا لكيان قبائل بني إسرائيل التي ظلّت متنازعة بينها في حروب أهلية متكررة أنهكت قواها؛ حيث احتشد الفلستيون ومعهم مساعدات من قوى شعوب البحر الأخرى للسيطرة على الساحل ومن ثَمَّ ضرب أراضي وسط كنعان وجبالها التي تقطنها قبائل بني إسرائيل من أجل السيطرة على جميع أراضي كنعان.

ومع حلول عام ١٠٥٠ ق. م، حاول «عالي»، الكاهن قاضي بني إسرائيل، أن يواجه هذا التيار العنيف، وقُدِّر له أن يواجه الفلستيين في حرب عاتية لم يكُن مستعدًّا لها، فجمع رجال أسباطه كلهم محاولًا نبذ ما كانوا عليه من فساد وشرور، خاصَّةً من أهل بيته، فكان ولداه «حفني» و«فينحاس» يمارسان طقوس عبادة أرباب الكنعانيين الوثنية القبيحة في أحراش بلدة «شيلوه»، بما فيها من دنس مع نساء المعبد المقدس بالبلدة التي تحتضن تابوت العهد المقدس، فعلى الرغم من شرور بني إسرائيل المعتادة فإنه لم يأتِ بها أحد من نسل الكهنة من قبل.

أراد «عالي» أن يصبغ هذه الحرب بدعم الرب «يهوه» وأن ينعم

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

بحمايته له فيها، فأحضر معه تابوت العهد من «شيلوه»، ونصب عليه ابنيه «حفني» و«فينحاس» كي يرافقاه، وربما كان في إحضاره أيضًا علامة لتوحيد جميع الأسباط أمام العدو. بينما احتشد الفلستيون بسلاحهم الحديدي وتروسهم الخفيفة وسيوفهم البتارة واقتربوا من موطن سبطي «أفرايم» و«بنيامين» عند بلدة «أفيق» على بعد ١٥ كم شرقي حيفا، فكانت شجاعة الفلستيين وبأسهم هما الأقوى، فبطشوا ببني إسرائيل وقتلوا منهم ثلاثين ألف رجل، بل كانت الكارثة الكبرى حين هاجموا خيمة التابوت وسرقوه وقتلوا ابني «عالي»، ما أثار الرعب والهلع في نفوس مقاتلي بني إسرائيل، فشعروا وكأنَّ يد الرب قد انفضت من على كاهلهم واللعنة حلّت عليهم للأبد. وما إن سمع «عالي» بتلك الكارثة حتى وقع من على كرسيه فانكسر عنقه وقضى نحبه في الحال.

كانت تلك الفاجعة هي الأسوأ في تاريخ عصر القضاة، فقد دمر الفلستيون المعبد الرئيس الذي كان يجمع كل أسباط اليهود، وأخضعوا القبائل لسيطرتهم، فمنعوهم من صناعة الحديد والسلاح وأجبروهم على العمل لديهم خانعين أذلاء، بل زادوا في ذلهم حين سرقوا التابوت ونقلوه إلى بلدة «أشدود» ووضعوه أمام تمثال المعبود «داجون»، معبود الكنعانيين الوثني الذي قدسه الفلستيون، ثم نقلوه مرة أخرى إلى بلدة «عقرون»، وكأنهم وضعوا نهاية لمساعدة «يهوه» لبني إسرائيل وانكسار إيمانهم.

ولكن يبدو أن لعنة التابوت قد حلّت على الفلستيين؛ فبعد سبعة أشهر من استحواذهم عليه، ضرب مرض الطاعون كل سكان البلدة، فقرر رؤساء الفلستيين إعادة التابوت إلى بني إسرائيل، فأعيد مرة أخرى إلى بيت «شيمش» وجلب هناك أيضًا الطاعون في أوساط كل مَن رأى التابوت؛ حيث أصيب به كثير من الأشخاص، ثم أخذ التابوت إلى بيت «أفينديف» في «جفعا»، وتم الحفاظ عليه هناك

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

مملكة الرب الموحدة

«وقال لبني إسرائيل: هكذا يقول الرب إله إسرائيل إني أصعدت إسرائيل من مصر وأنقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع الممالك التي ضايقتكم». سفر صموئيل (١٠: ١٨).

حاول الأسباط جمع شتاتهم مرة أخرى على يد «صموئيل» النبي، آخر قضاة بني إسرائيل، ولكن تلك المرة كان الفكر في الاتحاد مغايرًا؛ حيث تجمعت رؤوس القبائل وأرادوا منه أمرًا جديدًا وهو أن ينصب عليهم ملكًا يحاربون تحت لوائه ويبسط سيطرته على جميع القبائل ليدافع عنها أمام الفلستيين، تلك الفكرة التي برزت إبان عهد «أبيمالك» لكنه رفضها، فكانوا يرون أن جميع الأمم التي حولهم ذات النفوذ والسطوة يحكمهم ملك مثل الأموريين والعمونيين ومصر وغيرهم. حاول «صموئيل» إثناءهم عن هذا الأمر لكن كلامه معهم كان عديم الجدوى، فنزل وحي الرب بالموافقة على ما اجتمعوا عليه. جاء الاختيار على شاب قوي البنيان بهي الطلعة، هو شاؤول بن قيس، أو «طالوت»، كما ذُكر اسمه في القرآن الكريم ليكون أول ملوك إسرائيل، فقد قابله «صموئيل» ومسح على رأسه وأمر جميع رؤساء القبائل بالتجمع في أرض المصفاة كي يعلن أمامهم اختيار الرب لـ«شاؤول».

*****

أول ملوك إسرائيل

كان على عاتق الملك الجديد أن يواجه العدو التقليدي ويدحر شره بعد قرن ونصف القرن من السيطرة والتهديد، فبعد أن جرد الفلستيون بني إسرائيل من سلاحهم أشعل «شاؤول» نار الحرب مرة أخرى، فنفخ في البوق ليجمع الرجال من مواطنيه، بينما شن ولده «يوناثان» هجومًا على بلدة «جبع» حيث معسكر للفلستيين فدمره، ما أثار غضبهم وقاموا بالرد العنيف، فجمعوا ثلاثين ألف مركبة وستة آلاف فارس

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

فأشعلوا في قلوب بني إسرائيل الهلع الشديد، فمنهم من هرب إلى المقابر ليختبئ، ومنهم من زاغ نحو شرق الأردن ولم يبقَ مع «شاؤول» وابنه سوى القليل من المحاربين. وتروي التوراة جولة جديدة في الصدام الدامي، فقد خرج من بين الفلستيين قائد صارم عنيف طوله ست أذرع وشبر وعلى رأسه خوذة ضخمة من النحاس وعلى جسده درع حرشفية، وقناة رمحه كنول النساجين، وسنان رمحه تزن ستمائة شيقل من الحديد، إنه «جليات».

سار «جليات» بين طرقات قبائل بني إسرائيل مغترًا بقوته مستعرضًا سلاحه القاطع وعضلاته المفتولة أسفل دروعه السميكة، يصرخ بصوت عالٍ يطلب منهم مبارِزًا كي يقاتله، وهو يعرف في قرارة نفسه أنهم جبناء، ما إن يسمعون صوته حتى يختبئوا في جحورهم يتمنون لو لم تلدهم أمهاتهم قبل أن يروا «جليات». وظل «جليات» على حاله طيلة أربعين يومًا دون أن يجد مَن يواجهه، حتى إن أحد رجال بلاط «شاؤول» قد حاول إغراء من يبارزه في أن الملك سوف يمنحه كنزًا وفيرًا ويزوجه ابنته، ولكن لم يستجِب أحد.

غير أنه في أحد الأيام، خرج غلام صغير طالبًا مُنازلة «جليات»، فنظر إليه القوم بدهشة شديدة، بينما انفجر منه «جليات» سخريةً، ولم يكُن في يد الغلام داوود بن يسي سوى مقلاعه وبضعة أحجار، إلا أنه بمقلاعه ضرب رأس «جليات» عن بُعد فأسقطه أرضًا ولم يستطِع «جليات» القيام مرة أخرى بسبب ثقل دروعه فأجهز عليه «داوود» وأمسك بسيفه وقطع رأسه. وسار «داوود» منتشيًا بهذا الانتصار الرهيب حاملًا رأس الجبار «جليات» إلى «شاؤول» الملك، حينها أصبح «داوود» هو فارس بني إسرائيل ورجلها الأول بعد أن رد لهم بعض كرامتهم وكسر شوكة الفلستيين وأسقط بطلهم الأضخم وأطول رجل عرفه التاريخ القديم.

ولكن يبدو أن نار الغيرة قد دبّت في قلب الملك «شاؤول» خاصَّةً، وبعد أن أبلغه «صموئيل» النبي، قبل موته، بأن الرب لا يرغب فيه

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

كملك خاصَّةً وبأنه لم يقدم ذبائح باسم الرب، أبعد «داوود» عن الجيش وقلل من أهمية نصره ووصل به الأمر إلى أنه حاول قتله حتى هرب «داوود» وأصبح طريدًا.

أما «شاؤول»، فقد دخل مرة أخرى في حرب ضد الفلستيين، لكنها كانت القاصمة. فقد حشد الفلستيون قوتهم وسلاحهم عند جبل «جلبوع» ومنعوا تواصُل قوات بني إسرائيل المتمركزة في الجنوب عن الوسط، ما ملأ قلوب جند بني إسرائيل بالرعب والهلع، وهو ما تسلل إلى قلب «شاؤول» نفسه، وشعر بالهزيمة قبل أن تتحقق، ووصل به اليأس إلى أنه زار عرَّافة خفيةً قبل المعركة ليستدعي روح «صموئيل» ويسأله عن مصيره، إلا أن العرافة قد أخبرته بأن مصيره هو ومملكته الهلاك.

التقت القوتان، وكانت الغلبة للفلستيين بانتصار ساحق وتحققت النبوءة في شأن «شاؤول»، فجُرح جروحًا دموية في المعركة وخشي أن يأسره الفلستيون وينكلوا به، فطلب من حامل سلاحه أن يستل سيفه ويطعنه، إلا أنه خاف ورفض، فأخذ «شاؤول» السيف وغرزه في جسده حتى مات منتحرًا. لكن الفلستيين عثروا على جثته فأخذوها ومثلوا بها وعلقوها على أسوار بلدة بيت شان واغتنموا دروعه ووضعوها بمعبد الربة «عشتروت» بعسقلان.

*****

«داوود»... ملك إسرائيل الذهبي

تولى بعد موت «شاؤول» ولده «إيش بوشت» وكان اسمه في البداية «إيش بعل» أي: التابع لـ«بعل»، دلالةً على وثنيته، لكنه تغير إلى «إيش بوشت»، أي: رجل الخزي، ولكن سرعان ما انقلب عليه الأسباط بعد سنتين من حكمه وقُتل في حرب أهلية. فاجتمع كُبراء بني إسرائيل واجتمعت كلمتهم على أن يكون «داوود» هو الملك، بعدما أظهر براعة

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

عسكرية وأعاد إلى بني إسرائيل شيئًا من هيبتهم أمام الفلستيين.

وما إن اعتلى «داوود» عرش الملك، حتى أسس مملكة متحدة جمع فيها كل الأسباط تحت ذراعه ولم يكُن قد بلغ الثالثة والثلاثين من عمره، فكان طموح «داوود» أكبر من مجرد الأرض التي سكنها الأسباط جنوبي الشام، فجهَّز رجاله أفضل تجهيز وأعاد صناعة الأسلحة وتشكيل المعادن؛ حيث إن الرب قد رزقه القدرة على تشكيل أصعب المعادن وألانها بين يديه، وهو ما طوَّر من قوة جيشه، فغزا «داوود» حصن اليبوسيين في أورشليم، وعلى الرغم من أن سكانه كانوا يعتبرون الحصن منيعًا لا يُقهر فإن «داوود» قد اكتسحه بقوة، فدخل أورشليم وسط رجاله رافعين سيوفهم وجعل منها عاصمة لملكه، وأقام بها قصرًا وسماها «بيت داوود».

وكعادة الصدام الأزلي بين بني إسرائيل والفلستيين، جاء الدور على «داوود» كي يحارب أعداءه القدماء، فتقدَّم الفلستيون لضربه وغزو البلاد، لكنه أعد لهم أسلحة أشد فتكًا وناورهم بخطط عسكرية لم يروا مثلها، فهزمهم شرَّ هزيمة مرتين، بل إنه تقدَّم بجنوده نحو مدينة «جت»، إحدى كبريات مدن الفلستيين ونجح في احتلالها وأصبحت تحت حكم بني إسرائيل. وعلى الرغم من أنه لم يقضِ على شرور الفلستيين تمامًا، فإنه أجبرهم على الاعتراف به ملكًا قويًا له سطوة حقيقية ومُلك يُخشى.

بعد أن استقرت الأوضاع بعض الشيء، أراد «داوود» أن يبرهن لشعبه على مدى سطوته الدينية بجانب نفوذه العسكري، فجاء بأكثر شيء ذي قداسة لهم ونجح في استعادته والسيطرة عليه: تابوت العهد. نجح «داوود» فيما فشل فيه أسلافه وأرجعه مرة أخرى ليعود تحت يد بني إسرائيل بعد ضياعه. وسار التابوت في موكب مهيب من أرض الفلستيين موضوع على عجلة وسط احتفالات دينية وذبائح وفرح عظيم، وأخذ بني إسرائيل يرقصون ويعزفون بكل أنواع آلات

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

الطرب حتى وصل إلى خيمة الاجتماع التي نصبها له في أورشليم.

وجاءت رياح الحرب تقودها طموحات «داوود» بغية التوسع من جديد ضد مملكة إدوم، تلك المملكة الواقعة أقصى حدود كنعان، الملاصقة لحدود مصر، فنزل بجنوده نحو وادي الملح وكان في انتظاره الملك «حداد الثاني» على رأس جنده، لكن «داوود» حاربه بقوة وصلابة حتى انتصر عليه وقَتل «حداد» في المعركة، بل قَتل كل ذكور الأسرة المالكة، إلا أن ابنه «هدد» نجح في الهروب إلى مصر بصحبة عبيد أبيه وهو غلام صغير، فرحب به ملكها وحل ضيفًا عليه وأسكنه بيتًا وأرضًا، بل زوَّجه بأميرة مصرية تذكرها التوراة بأنها أخت «تحفنيس»، زوجة ملك مصر. وعاش «هدد» في كنف ملك مصر وخيراته، وأنجب من زوجته ولدًا يُدعى «جنوبث» تربى بدوره في بيت الملك وسط بقية أولاده.

كانت مصر في تلك الأحيان تعاني انشقاقًا داخليًا كبير مزق أوصالها وأكل في جسد الملكية المقدسة، فبعد عصور من الدولة المركزية الموحدة المسيطرة على أرجاء البلاد، وبعد قرون من حكم التحامسة ومن بعدهم الرعامسة خلال الأسرات الثامنة عشرة وحتى العشرين، ومع موت الملك «رمسيس الحادي عشر»، بدأ الضعف بضرب أركان الدولة من الداخل وأصابتها حالة انقسام رهيب وسادت الفوضى شؤون البلاد، وتنازع على عرش البلاد كهنة «آمون» في الجنوب وملوك مدينة تانيس في الشمال، حتى انتهى الأمر إلى أن انقسم حكم مصر ما بين ملوك تمركزوا في الشمال واتخذوا من «تانيس» عاصمةً لهم، بينما آل الجنوب لكهنة «آمون» أصحاب السطوة الدينية وكانت «طيبة» عاصمة دولتهم وكوَّنوا الأسرة الحادية والعشرين.

وأشعل هروب «هدد» إلى مصر بعض التوتر بين المصريين والمملكة الجديدة؛ حيث كانت قبائل الفلستيين العدو التقليدي للعبرانيين قد خضعت لمصر بروابط سياسية واقتصادية وأصبحت تحت حماية المصريين، على الرغم من حالة الفوضى والاضطراب التي كانت

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

تخوضها مصر، بينما ظلت مملكة «داوود» رغم اتساعها وتطورها في نظر المصريين مملكة بربرية، فلم تكُن الكتابة والقراءة قد شقت طريقها بين مختلف طبقات قبائل الأسباط، ولم يكُن التعليم قد أوجد له مكانًا بين أناس لم يعرفوا سوى الزراعة والرعي والسلاح.

*****

مزامير «داوود» وأناشيد «أخناتون»

منح الرب «داوود» صوتًا عذبًا وقدرة بديعة على صنع الألحان لم تُعطَ لأحدٍ من البشر من قبل. فكان يقرأ المزامير بستين لحنًا، حتى إذا غنَّى تستمعُ إليه الإنسُ والجن وتقفُ لهُ الوحوشُ.

وكانت مزامير «داوود» هي أناشيد وتسابيح وترانيم في تمجيدِ عظمة الخالق ضمن أسفار العهد القديم في ١٥٠ مزمورًا: ٥٠ في ذكر الرب وآيات خلقه، و٥٠ تضم التسبيح بحمدِهِ وخصائص نعمه، و٥٠ في الحِكَم والمواعظ، كتب منها «داوود» ٧٥ مزمورًا. وقد عُثر على أول نسخة كاملة من مزامير نبي الله «داوود» عام ١٩٨٤ في قرية «المضل»، التي تقع جنوب مدينة بني سويف في مقبرة تعود إلى العصر المسيحي الأول في القرن الرابع الميلادي.

وكانت المفاجأة في اكتشاف تشابه حد التماثل، خاصَّةً بين المزمورين ١٠٤ و١٤٥ وبين أناشيد «أخناتون» التي سبقته بنحو ثلاثة قرون من الزمان، سواء في العبارات أو حتى في ترتيب الأناشيد. فلمَّا صعد «أخناتون» إلى عرش مصر عام ١٣٥٣ ق. م وقام بثورته الدينية بعدها بخمس سنوات من خلال توحيد كل المعبودات واختزالها في معبود واحد هو «آتون»، كانت تلك الثورة الفكرية قد انتقلت من العقيدة إلى جميع المفاهيم الحضارة المصرية ومجالاتها، خاصَّةً في الفن المصري والعمارة المصرية، بل امتدَّ إلى التصوير الأدبي للعقيدة بالتعبير عنها من خلال الشعر المنظوم والأناشيد التي تُرَتَّلَ في المعابد ومختلف المناسبات. ونظَم رجاله تلك الأناشيد تمجيدًا للمعبود الجديد

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

«آتون» ونُقشت على جدران عدة مقابر لأعلام عصره، مثل مقبرة الوزير «آي» بتل العمارنة، ما بين صيغ طويلة وقصيرة، وتم الكشف عن الأناشيد وترجمتها من الهيروغليفية عام ١٨٨٤م.

فنجد بداية مزامير «داوود» تتشابهُ مع بداية «الأنشودة العظمى» التي يبدأ بها «أخناتون» تسابيحه في مناجاة ربه الخالق «آتون» الذي لا شريك له والذي رمزَ له بقرص الشمس.

حيث تبدأ: «أيها الإله الأوحد الذي لا شبيه له... تظهر في أفق السماء أيها الشمس الحية، الذي يقدر الحياة، تشرق في الأفق الشرقي في الصباح وتملأ كل البلاد بجمالك، أنت جميل وعظيم ومشرق الآن فوق جميع البلدان». بينما يبدأ المزمور ١٠٤ بالقول: «يا رب، إلهي، قد عظمت جدًا ومجدًا وجلالاً... المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد، كسوتها الغمر كثوب، فوق الجبال تقف المياه، تصعد إلى الجبال. تنزل إلى البقاع، إلى الموضع الذي أسستَه لها».

وهناك بعض العلماء يعتقدون بوجود حالة تقارب بين عقائد المصريين القدماء وبين العبرانيين الذين سكنوا مصر، حيث تبنى تلك الفكرة سيجموند فرويد رائد علم النفس في كتابه «موسى والتوحيد» وادعى خطأ أن موسى كان أميراً من البيت المالك وأحد أقارب أخناتون ومن كهنة الآتونية المؤمنين بالرب الواحد وآمن بدعوى أخناتون، وبعد موت سيده الأكبر خاف من الذهاب إلى العاصمة طيبة حتى لا يتعرض لاضطهاد وانتقام كهنة آمون فتوجه إلى يهود جاسان وبينهم المصريون المؤمنون ليصبحوا جماعة واحدة ويخرجوا من مصر فيما يعرف بالخروج الكبير، حينها نجح موسى مع بني إسرائيل فيما فشل فيه أخناتون مع شعبه. كما ربط فرويد بين «أدون» أي السيد أو الرب عند اليهود وبين «آتون» من الناحية اللغوية، بينما استبعد عالم الآثار والديانات القديمة الألماني «جان أسمان» هذا الربط.

ورغم تلك النظرية الخاطئة إلا أنه لا يمكن إنكار وجود تأثير وتأثر بين

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

داوود وقومه وفكر آخناتون السابق عليه حول التوحيد والذي انتقل منه إلى أسفار التوراة بشكل ما ليصل إلى أورشليم ليتغنَّى بها الملكُ داود في مزاميره.

*****

«سليمان» والهيكل

بعدما وهن به الجسد ومرَّ به العمر، أصدر «داوود» قراره بأن يخلفه ولده «سليمان» النبي على عرش المملكة الكبيرة، فجعل الكاهن «صادوق» يباركه وأركبه بغلة أبيه وسار به إلى ينبوع جيحون عند ضواحي أورشليم، فأخذ «صادوق» قرن الذهب من الخيمة المقدسة ومسح على رأس «سليمان» ونفخ في البوق ليعلن للشعب العبراني ملكهم الجديد، فسعد الناس وظل بعضهم ينفخ في الناي فرحًا.

وقد رأى «سليمان»، في بدء حكمه، حلمًا، سأله الرب عمَّا يطلب فلم يطلب غنًى ولا عظمة ولا طول أيام، بل طلب الحكمة، وأعطاه إياها الرب، فظهرت حكمته في ذهابه إلى المذبح الذي بناه «موسى» في البرية وذبح ألف محرقة هناك.

واتجه «سليمان» إلى تدعيم ملكه وتقويم إدارته وأقام كثيرًا من الحصون والحاميات حراسةً لحدود دولته، إلا أنه كان على عكس أبيه المحارب صانع الدروع، كان ميالًا للسلم والبناء ولم تكُن له خبرات عسكرية أو رغبة في خوض حروب توسعية. فرأى أن إقامة اتفاقيات مع جيران المملكة ستضمن لها حماية وتبعد عنها شبح الهلاك، فصاهر «سليمان» ملوك «عمون» و«آرام» و«كنعان» وامتلأ قصره بأميرات أجنبيات. وتطلع أن يقوم بالفعلة نفسها مع جيرانه الغربيين في مصر، إلا أنه اصطدم بتقاليد ملكية قديمة؛ حيث العادات المصرية القديمة كانت تمنع زواج الأميرة المصرية بأمير أجنبي، وعندما حاولت أرملة «توت عنخ آمون» التواصل مع ملك «ميتاني» للزواج بابنه، دبَّر القائدان «آي» و«حور محب» عملية اغتيال لهذا الأمير المسكين قبل

maktabah.blogspot.com

أن يصل إلى مصر. ولكن يبدو أن الأمور في زمن «سليمان» قد تغيرت ولم يعد المصريون يتمسكوا بحدة التقاليد نفسها، أو أن القائمين على حكم البلاد أنفسهم لم يكونوا مصريي الأصل، فصاهر «سليمان» ملك مصر وضم ابنته زوجةً له، ويعتقد أنه كان الملك «سي آمون» أو «بسوسينس الثاني» من ملوك الأسرة الحادية والعشرين أو أنه الملك «شيشانق» أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين. وكان من ضمن مكاسب تلك الزيجة: غزو ملك مصر ـ كما تذكر التوراة ـ مدينة «جازر» وإحراقها بالنار وقتل كل سكانها من الكنعانيين مهرًا لابنته وهدية لزوجها الملك «سليمان»، تلك المدينة ذات الأهمية الاقتصادية وأحد مراكز التجارة بمنطقة الشرق الأدنى، وبها وضعت إسرائيل قدمًا على خط التجارة بالبحر المتوسط.

كما امتدت أواصر الود بين مصر و«سليمان» في إمداده بالخيل والعربات الحربية، فعلى الرغم من أن الرب حذَر بني إسرائيل من اقتناء «الخيل والنساء والذهب»، فإن «سليمان» كان مولعًا بالخيل والفروسية، فكان يقتني الخيل للتجارة فيها ويجعلها أداة مهمة للحرب، فكان يملك ما بين ١٤٠٠ و٤٠٠٠ حصان، وأقام حظائر الخيل في أماكن متعددة بمملكته. وكانت مصر هي مصدر الخيل والمركبات للملك «سليمان» أكثر من بقية مدن الشام، نظرًا لكون المصريين ذوي مهارة عالية في صناعة المركبات بعد أن دخلت خدمة الجيش المصري منذ أن اقتبسها الملك «أحمس» من أعدائه الهكسوس، وأصبحت أهم سلاح لدى المصريين.

وتدَّعي التوراة أن وعد الرب لـ«إبراهيم» قد تحقَّق في حكم «سليمان» بأن يكون ملك «سليمان» من نهر مصر إلى نهر الفرات الكبير، ولكن في حقيقة الأمر أن مملكة «سليمان» كانت من الصغر حيث لم تتعدَّ جنوب الشام، بل إن عدة مدن من التي ضمها أبوه «داوود» قد خرجت عن سيطرته، وإنه لم يكُن سوى تابع لملك مصر الذي سمح له بمصاهرته ومنحه منفذًا على البحر المتوسط ليقيم من

maktabah.blogspot.com

خلاله تجارته، بينما كانت فكرة المملكة الكبرى من النهر إلى البحر هي اقتباس وتأثر لما وصل إليه الملك تحتمس الثالث بالدولة الحديثة حينما وصل بحدود مصر إلى نهر الفرات.

في تلك الفترة، بلغ إلى مسامع هدد بن حداد، ملك «إيدوم» السابق، موت غريمه الأكبر «داوود» وتولي ابنه «سليمان» مكانه، فقرر الرحيل من مصر كي يستعيد عرشه مرة أخرى. وقد حاول ملك مصر إثناءه عن هذا الأمر، ولكن يبدو أن الثأر قد ملأ قلبه وزادت بداخله الرغبة في استعادة عرش أبيه المسلوب. ويبدو أنه قد نجح جزئيًا في هذا الأمر بعدما وجد جيش «سليمان» قد انسحب من إيدوم، ودخل الطرفان في تفاوض برعاية ملك مصر، نتج عنه اعتراف «سليمان» النبي بسيطرة «هدد» على مُلك إيدوم وضياع حكم «سليمان» عليها.

*****

الهيكل المعجزة

لم تعرف مدينة أورشليم معمارًا أو زخارف مثلما عرفت على يد «سليمان» النبي؛ فقد اهتم بتجميل أورشليم وأروقتها بل وكل مدن المملكة حتى اعتُبر واحدًا من أهم المشيدين والبنَّائين في عصره، بل وفي تاريخ المعمار، فقد وصلت شهرته في حبه للإنشاء إلى أن نُسب إليه كثير من المباني في منطقة الشرق الأدنى حتى إن كانت خارج نطاق حكمه، فما إن يرى القوم منشأة مهولة البنيان رائعة الزخرفة حتى نسبوها إلى «سليمان» وخدمه من الجن. تلك السمعة التي استشرت عبر الزمن فاعتقد البعض أن النبي «سليمان» أحد أعمدة البنَّائين الأحرار أو جماعة الماسونيين؛ فبجانب اهتمامه بمدن جازر وبيت حورن وبعلة وتدمر، شيد «سليمان» أسوارًا شاهقة تحيط بأورشليم وصفت لنا التوراة أبوابها مثل باب «بنيامين» ناحية الشمال وباب «أفرايم» وباب الوادي بالجنوب وباب الخيل بالناحية الشرقية.

وعلى الرغم من أنها كانت فكرة «داوود» النبي منذ البداية، حيث بناء

هيكل ثابت للرب في أورشليم بدلًا من محاريب محلية لتوحيد الطقوس والشعائر، وجمع من أجله الأموال وجهز المعدات، فإن الرب قد وعد «داوود» بأن مَن يُكمل هذا البناء المهيب هو ابنه ووريثه «سليمان». فقد عاين «داوود» موضع الهيكل وهندسته قبل وفاته، ثم بدأ «سليمان» العمل في البناء في السنة الرابعة من حكمه. واستغرق العمل سبع سنوات وستة أشهر، أراد خلالها أن يصنع هيكلًا لم يكُن له مثيل في أنحاء الأرض، وكان له ما أراد.

ومن أجل الهيكل، تحالف «سليمان» مع «حيرام»، ملك صور الفينيقي، واشترى منه الخشب، واستأجر عمالًا وفنيين فينيقيين عمل معهم كثيرٌ من العمال اليهود في قطع الأخشاب والأحجار ونقلها، ما جعل الهيكل على الطراز الفينيقي وارتفع بناء الهيكل فوق جبل موريا في القدس بعد أن مهدت الأرض وسدت الثغرات التي فيها، وبدت مظاهر البذخ والفخامة في كل عنصر من عناصر الهيكل، فقد كان خشب السطح والأبواب من الأرز، وخشب الأرض من السرو، والكل مغطًى بالذهب، حتى أصبح معجزة عصره.

وحسب وصف سفر الملوك، كان الهيكل يتجه إلى جهة الشرق ويبدأ بالرواق الذي كان بناؤه شاهقًا وأبوابه من الخشب المرصع بالذهب، وعلى جانبيه وُضع عمودان مزخرفان بالبرونز أطلق عليهما «ياكين» و«بوعز»، ولا يُعرف إن كانا اسمين لشخصين أم قبيلتين قدَّمتا العمودين أم لهما معانٍ رمزية خفية ترتبط بالماسونية والبنائين الأحرار. ثم يليه المقدس أو الهيكل الحقيقي، وهي حجرة كبيرة يذكر سفر الملوك أن طولها ٤٠ ذراعًا وعرضها ٢٠ ذراعًا وارتفاعها ٣٠ ذراعًا. وكان لا يسمح بدخول أحد إلى المقدس غير رئيس الكهنة. وكان المقدس يُغلق ببابين ضخمين خشبيين، وكان ينيره ضوء شمعدان سباعي الأذرع من الذهب، وإلى جانبه خمسة شماعد أخرى على خمس موائد مغطاة بالذهب، وفيه كان يُقدم البخور و«خبز الوجه» كقربان. أما جدران المقدس فكانت مبطنة بخشب الأرز ومنحوتًا عليها تماثيل

maktabah.blogspot.com

ملائكة الكروبيم ونخيل وزهور متفتحة مغطاة بالذهب، بينما كانت أرضيته من خشب السرو المغطى بالذهب، ثم يليه المحراب أو قدس الأقداس، البقعة الأقدس في الهيكل كله، وهو غرفة مظلمة يحجبه عن الرؤية باب مذهب مهيب، ويقبع على صخرة بداخلها أعظم ما تطوقه أعين بني إسرائيل: تابوت العهد، ويظلله بأجنحتهما ملاكان كبيران مغشيان بذهب، ارتفاع كلّ منهما ١٠ أذرع، ويصل طول أجنحتهما إلى ١٠ أذرع.

وكان يحيط بالهيكل فناءان مفتوحان، الداخلي منهما، المعروف بفناء الكهنة الصغار، كان ينفصل عن الخارجي بجدار من ثلاث طبقات، وكان يضم المذبح، وهو صندوق من الخشب الثمين مربع الحجم مغطى بالنحاس، وكانت النار تُشعل على رأسه ليتطهر بها الكهنة والذبائح.

ويقبع في الفناء الحوض الكبير الذي خُصص للكهنة للاغتسال والتطهُّر، وهو حوض من البرونز يصف لنا سفر الملوك زخارفه البديعة، حيث كانت حافته على شكل زهرة الزنبق، بينما زين بدنه باثني عشر ثورًا واقفين يطلون نحو الخارج، وحسب هذا الوصف المهول كان من المستحيل ملء هذا الحوض من أعلى؛ لذلك يُحتمل أنه كان يُغذَى بأنابيب قادمة من برك جانبية. أما الفناء الخارجي فكان مخصصًا لتجمع عامة الشعب من أجل الاحتفال.

ومع الانتهاء من تشييد هذا الهيكل المهيب، أقام الملك «سليمان» احتفالًا كبيرًا يليق بتلك المناسبة، دعا إليه كل شيوخ إسرائيل وكبراء الأسباط لإصعاد تابوت العهد إلى مقره الجديد، بقدس أقداس الهيكل تحت جناحي الكاروبيم، وأقاموا المذابح باسم الرب من البقر والغنم بأعداد كبيرة طيلة أسبوع.

من أجل تلك الفخامة والأبهة، وفي سبيل بناء دولة ذات مظاهر أخّاذة، لم ترَ إسرائيل مثلها، اتبعت الدولة سياسة السخرة في عمليات البناء والرغبة في تحويل البلاد من مجرد دولة زراعية إلى دولة

صناعية، فقد جُمِع آلاف العمال من أنحاء كنعان يحملون أطنان الأحجار والأخشاب سخرةً في ظروف قاسية، حتى بدا الفارق الكبير بين الترف في أنحاء أورشليم والفقر المدقع الذي غرقت فيه بقية المدن بسبب الضرائب الباهظة التي فرضتها الدولة عليها، فما كان الناس يفيقون من حفنة ضرائب حتى تصدمهم حفنة أخرى تقصم قواهم، بالإضافة إلى ظهور طبقة مرفهة من الحاشية ورجال البلاط المتحكمين في كل مقدرات البلاد والمحتكرين للصناعة وطرق التجارة، في مقابل انشغال بقية الشعب في الزراعة أو الصناعات المحدودة، ما جعل السواد الأعظم من السكان في حالة تذمر واضحة مع نهاية حكم الملك «سليمان».

حينها، ظهرت نبوءة أحد أنبياء بني إسرائيل، ويُدعى «أخيا الشيلوني» ، بانقسام المملكة الموحدة وتنصيب «يربعام»، ناظر العملة لدى الملك، لقيادة عشرة أسباط من بني إسرائيل؛ إذ مزق «أخيا» رداءه إلى اثنتي عشرة قطعة وأعطى «يربعام» عشر قطع دلالةً على نبوءته. وما إن سمع الملك «سليمان» بهذا الأمر حتى أمر بقتل «يربعام»، لكنه كان أسرع في التحرُّك وهرب إلى مصر. فعلى الرغم من مصاهرة مصر لـ«سليمان»، فإن ملكها لم يمانع من استضافة أحد معارضيه واستقباله أفضل استقبال مع منحه الحماية.

*****

صراع الأسباط.. «إسرائيل» و«يهوذا»

جاء عام ٩٢٢ ق. م مُحمَّلًا بخبر حزين لمملكة إسرائيل؛ فبعد أربعين سنة من المملكة الموحدة، تُوفي «سليمان» وجاور آباءه في أورشليم بعد أن علم شعبه معنى النظام والوحدة وكان قبضة الاتحاد في تاريخ أمته المشتتة، تاركًا عرشه في يد ابن ضعيف يُدعى «رحبعام» لم تكُن من مميزاته سوى أنه الابن الأكبر لـ«سليمان» الملك.

اجتمع شيوخ بني إسرائيل بالملك الجديد في مدينة شكيم بالشمال،

maktabah.blogspot.com

ليس ترحيبًا به واعترافًا بشرعيته فحسب، لكنهم طلبوا منه أن يخفّف عنهم كاهل الضرائب الباهظة التي فُرضت عليهم في حياة أبيه، لكنه كان عنيدًا وضعيفًا، فلم يقابل المشايخ المقابلة الكيسة المطلوبة ولم يستمع لمشورة كبار رجال قصره، لكنه أمهلهم ثلاثة أيام للرد. ومع انتهاء اليوم الثالث، جاء رده صادمًا لهم؛ حيث قابلهم بنوع من الصلف والغرور وأكد لهم أن الضرائب سوف تزيد لا تنقص وسوف يزيدها، وإذا ما كان «سليمان» قد أدبهم بالسياط فسوف يؤدبهم هو بالعقارب. حينها انصرف شيوخ القبائل، ومع انصرافهم بدأ الشقاق يضرب أرجاء المملكة، وانفصلت القبائل الشمالية. وحاول «رحبعام» جمع شتات المملكة وتوحيدها مرة أخرى تحت سيطرته، فجمع رجالًا من سبطي «يهوذا» و«بنيامين» إلا أن رجال قبائل الشمال قد تصدوا له وأنهوا سيطرته عليهم. حينها ضاع حلم «داوود» بالوحدة وانقسم بنو إسرائيل إلى مملكتين؛ حيث تجمعت أسباط الشمال العشرة ونصبوا عليهم «يربعام» الأفرايمي ملكًا، تحت اسم مملكة إسرائيل، بينما احتفظ «رحبعام» بعرش والده في أورشليم وحكم سبطي «يهوذا» و«بنيامين» في مملكة سميت مملكة «يهوذا».

*****

عندما غزت مصر أورشليم

زاد الانقسام داخل مصر بين الشمال والجنوب وانتشر فيها الفساد والجوع والسرقات وأصبحت حدود البلاد في خطر داهم، وتسللت قوات من الدلتا ليبية الأصل من قبائل المشواش، تلك القبائل التي حاول الملك «رمسيس الثالث» مطاردتها من مصر، لكنها استوطنت ناحية الغرب ودخل أفرادها في خدمة جيش مصر من بعده، وسريعًا ما اندمجوا في المجتمع المصري وتطبعوا بعادات المصريين وتقاليدهم. وما إن بات الوضع السياسي في البلاد متأزمًا حتى نجح بعض قادة تلك القبائل في الإمساك بزمام الأمور وتولي شؤون الدولة.

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

وكان أول مَن وصل إلى عرش مصر القائد «شاشانق الأول» من مدينة إهناسيا، بينما كان جده الأكبر (بويو واوا) قد سكن إحدى واحات الصحراء الليبية في جنوب غربي مصر من قبيلة التحنو الليبية. وقد تزوج «شاشانق» بابنة الملك «بسوسينس الثاني»، آخر ملوك الأسرة، وهو ما سهَّل عليه المهمة في إقناع الشعب بشرعيته في الحكم وأسَّس أسرة جديدة هي الأسرة الثانية والعشرون، التي عُرفت بالأسرة الليبية.

وكان الطريد «يربعام» آنذاك في ضيافة «شاشانق» وتحت حمايته، وقد أوعز له بضرب مملكة «يهوذا» والتوسُّع على حسابها. وما إن جاء العام الخامس من حكم «رحبعام»، حتى كان جيش مصر على درجة الاستعداد وانطلق مهاجمًا جارته التقليدية، فدخلت قواته أورشليم بسهولة ونهب كنوز الهيكل وبيت الملك، واغترف منه آلاف الأتراس الذهبية المصنوعة في عهد الملك «سليمان». وسجل تلك الانتصارات الرهيبة على جدران معابد الكرنك فيما يُعرف بقائمة الكرنك ببوابة البوبسطيين؛ حيث ذكرت أكثر من ١٥٠ مكانًا استولى عليها، منها حملات خاطفة دمر فيها عشرات المدن اليهودية والمستعمرات التي في سهل يزرل وشرقي وادي الأردن، ودانت مدن كنعان لمصر ودفعت لها الجزية، واستعادت مصر شيئًا من مجدها القديم.

*****

حلف مصر وإسرائيل

مع إطلالة القرن السادس قبل الميلاد، كان العالم القديم على موعد مع تغيُّر خريطته السياسية، فقد ظهر في الأفق مملكة جديدة تعمل على فرض سيطرتها وبسط نفوذها بالشرق الأدنى كله، هي مملكة الآشوريين. صعد إلى عرش آشور ببلاد النهرين الملك «تيجلات بلاسر الثالث» وبدأ طموحه في التزايد والرغبة العارمة في السيطرة على إمارات الشرق الأدني وممالكه، فكان يرى أن وضع يده على ساحل

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

الشام هو ضمان قوة الإمبراطورية الآشورية، ليس فقط بسبب ثرواتها من الأخشاب وموانئها التجارية التي تربط العالم القديم، ولكن لأنها بوابة مصر ومدخلها. وبدأ الملك «تيجلات» في ترجمة تلك الأفكار إلى واقع من خلال حشد جيشه لغزو بلاد الشام وليس فقط الحصول على جزية من تلك الإمارات المتناثرة على الساحل. وما إن وطئ «تيجلات» أرض إسرائيل، حتى وجد ملكها «مناحيم بن جادي» يفتح له أبوابها وقابله صاغرًا متذللًا ينحني أمام موكبه ويقبّل الأرض بين قدميه، يسترضيه بالمال، فدفع له ألف وزنة من الفضة ليبقى على عرشه ولو تحت راية الآشوريين، لكن طمع الآشوريين كان أكبر من ذلك، فبعد موت «مناحيم» اجتاح «تيجلات» بقية الإمارات الآرامية المنتشرة، بما فيها دمشق والجليل وقادش، ولم يبقَ أمامه سوى السامرة، عاصمة إسرائيل الشمالية.

ولكن غيَّب الموت «تيجلات»، فصعد ابنه «شلمنصر الخامس» مكانه ونصب عينيه صوب مملكة إسرائيل وطمع في أن يضم ما بقي منها إلى مملكته الصاعدة ويتم ما أراده أبوه من غزو السامرة، بعدما وجد عرشها يتهاوى، حتى إن حليفتها مصر لم تعُد قادرة على حمايتها كما كان من قبلُ، فبعد أن حكم مصر ملوك عظام مدوا أواصر الود مع مملكة «سليمان»، جاء على عرشها ملوك ضعاف فرضت آشور عليهم الجزية يدفعونها كل عام كما تذكر التوراة.

اتهم «شلمنصر» «هوشع»، ملك إسرائيل، بالتآمر ضده مع ملك مصر والتحالف معه، فشنَّ حملة عنيفة عليه ونجح في أسره. حاول المصريون استمالة إسرائيل التي كانت تحت سيطرة الملوك التابعين لآشور إلى حد كبير، من خلال تحريضهم على الثورة ضد آشور ومدهم بالدعم العسكري. فتذكر التوراة أن «هوشع» قد أرسل رسلًا إلى «سو»، ملك مصر، وامتنع عن دفع الجزية المقررة لسيده الآشوري. وعلى الرغم من تضارُب العلماء في تحديد هوية هذا الملك المصري ما بين «أوسركون الرابع» من الأسرة الثانية والعشرين و«تف نخت» من

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

الأسرة الرابعة والعشرين، فإنه من الواضح ضعف العرش المصري وعدم قدرته على معاونة حليفه القديم في إسرائيل.

وبعد ثلاث سنوات من الحصار، استولى «شلمنصر» على عاصمة المملكة، مدينة السامرة، فحرق أسوارها ودمر مبانيها وهدم أسواقها وسقطت مملكة إسرائيل الشمالية بعدما عمرت طيلة ٢٠٠ عام. ورحَّل خليفته «سرجون الثاني» الآلاف من سكان إسرائيل إلى مختلف أراضي الإمبراطورية الآشورية، مثل العاصمة نينوى وأرض الميديين، كما هُجِّر عددٌ من كبار رجال الدولة من نبلاء وأمراء، حيث اندمجوا مع بقية السكان وذابت الأسباط العشرة بعادات الآشوريين ودياناتهم. وأعاد ملك آشور تكوين السامرة باعتبارها إقليمًا آشوريًا وعزز الحامية العسكرية بجنود مستوطنين جيء بهم من بلاد بعيدة، وتزاوجوا مع السكان الأصليين الذين هجروا تقاليدهم وظهر جيل جديد عُرف باسم السامريين.

لم يبقَ من إرث «يعقوب» و«موسى» و«داوود» سوى مملكة «يهوذا» بسبطيها الباقيين «يهوذا» و«بنيامين»، ولم يكُن حالها أفضل من حال سابقتها التي توارت في غياهب النسيان. فكانت مملكة «يهوذا» ضمن مقاصد «سنحاريب» في غزو بلاد الشام، كما كانت في الوقت نفسه هي حائط الصد الأول عن مصر. صعد «حزقيا» على عرش مملكة «يهوذا» في عام ٧١٥ ق. م، وشكَّل تحالفات كبيرة مع ممالك الشام، مثل «آدوم» و«عمون» و«فينيقيا» و«موآب» بزعامة مصر، وطلب منها أن تتدخل في شؤون «يهوذا» لتكون في عون أعداء آشور وتخليصهم منها، كما أغرى بابل في الوقوف مع هذا الحلف ضد الجار التقليدي آشور، وتمرد على دفع الجزية التي كان يدفعها آباؤه. لكن النبي «أشعيا» كان يسير في الطرقات يلعن هذا الحلف الذي ترك الدعم من «يهوه»، رب إسرائيل، ولجأ إلى مصر ولم يباركه أبدًا، فما كان من «سنحاريب»، ملك آشور، إلا أنه أتى بجيش جرار واكتسح الساحل الفينيقي واقتحم مدن «يهوذا» المحصنة الواحدة تلو الأخرى؛ حيث

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة

www.maktabbah.blogspot.com

استولى على «صيدون» و«صرفة» و«محالب» و«يوشو» و«عكا»، ما جعل «حزقيا» يشعر بالخوف على عرشه ولجأ إلى الحل القديم وهو التذلل ودفع الجزية من جديد، فحشد ثلاثمائة سلة من الفضة وثلاثين سلة من الذهب وأرسلها إلى الآشوريين، وهو الأمر الذي تطلّب منه إفراغ الهيكل والخزينة الملكية من الفضة وسحب الذهب من بوابات هيكل «سليمان».

وجاء الدور على مصر، فكان «سنحاريب» يستهزئ بمساعدتها للحلف، وسخِر رجلَه «ربشاقي» من دعمها لحصاره لأورشليم وقالوا كلمتهم المذكورة في التوراة: «على من اتكلت حتى عصيت أمري؟ فالآن هوذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة، على مصر، التي إذا توكأ أحد عليها، دخلت في كفه وثقبتها هكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلين عليه». وعلى الرغم من فشل «سنحاريب» في دخول أورشليم، فإنه حاصرها وأذل «حزقيا» تحت سيطرته وأرغمه على دفع الجزية المتأخرة وكأنه كالطير في القفص، وفتح لنفسه الطريق لغزو مصر.

كانت الأوضاع في مصر في حالة من التخبط مع تداعي الحكم في يد ملكي الأسرة الرابعة والعشرين؛ حيث أصاب البلاد قدرٌ من الضعف السياسي والتفكك الإداري جعل مصر مطمعًا لغزوات ملوك النوبة الذين أسسوا الأسرة الخامسة والعشرين، خاصَّةً الملك «بي عنخي»، فقد انطلق في جيش، قادمًا من الجنوب ونجح في ضم معظم مدن مصر وإخضاع أمرائها لصالحه، بينما اختفى ملك مصر «تف نخت» وأعلن استسلامه لـ«بي عنخي»، وجاء من بعده ابنه «باك إن رن إف» المعروف لدى الإغريق باسم «بوكوريس».

حاول «بوكوريس» أن يصد شرور ملوك آشور وبدأ فكرة التحالف ضدهم فأخذ يحرض حكام كنعان ضدهم ووعدهم بمساعدات مصرية، إلا أن الحلف كان أضعف ممَّا اعتقد، وانهزم جيش مصر عند رفح هزيمة كبيرة. في الوقت نفسه حل الملك «شبكو» محل «بي عنخي»

maktabah.blogspot.com

وقبض على «بوكوريس» وأعدمه حرقًا، وأصبح في مواجهة مباشرة ضد «سرجون الثاني»، ملك آشور، والد «سنحاريب»، فهادنه وقدَّم له الهدايا وعمل على تهدئة الوضع السياسي.

وبعد سنوات، خلف الملك «طهرقا» أخاه على عرش مصر، واصطدم بطموح «سنحاريب»، إلا أن القدر قد أرجأ المواجهة عندما قُتل «سنحاريب» على يد أحد أبنائه وخلفه كبيرهم «أسرحدون».

وجاءت المواجهة مرة أخرى بأبطال جدد، احتشد «أسرحدون» بجميع قواته وسار على نهج أسلافه في ضرب حكام ساحل الشام، فعاقب «بعل» حكام صور بسبب وقوفهم مع المصريين، ثم أصبح على مقربة مباشرة من مصر، فاخترق صحاري سيناء بمساعدة البدو واتجه نحو منف، وعلى الرغم من المقاومة العنيفة والحصار الكامل، فإنها سقطت بين يديه، ومع سقوطها وصل الجيش الآشوري إلى الجنوب، وقدمت كثير من عائلات المدن المصرية الكبيرة الولاء لملك آشور واعترفوا به ملكًا على مصر، حينها سقطت مصر وسقط الحلف كله.

*****

«بسماتيك» يعيد اليهود الهاربين

«من سيحكم مصر هو من يشرب في كأس برونزية».

إنتشرت تلك الأسطورة مع نهايات سيطرة الآشوريين على مصر؛ فمع زيادة ضربات بابل الخارجية شعرت آشور بأنها تتهاوى، وقبضتها على الشرق أصبحت مرتعشة، فانسحبت شيئًا فشيئًا من مصر وأبقت السلطات الفعلية في أيدي كبار عائلات المدن التي تثق بولائهم لها. لكن أحدًا من قادة تلك العائلات شعر بالطمع الممزوج بالوطنية فوحَّد تلك العائلات تحت لوائه لطرد الآشوريين من مصر والاستقلال بها.

وكما ذكر «هيرودوت»، أقيم أحد الاحتفالات في معبد الرب «بتاح» واجتمع اثنا عشر قائدًا في رحاب المعبد، فجاء الكاهن الأكبر ومعه

maktabah.blogspot.com

كؤوس القرابين الذهبية ليشربوا منها، لكنه أخطأ في العد وأحضر معه إحدى عشر فقط، فما كان من القائد «بسماتيك» إلا أن خلع خوذته البرونزية ليستقبل القربان فيها، حينها صدقت الرؤيا وحقت الأسطورة وأصبح «بسماتيك» هو ملك مصر.

ولم يكُن وصول «بسماتيك» للعرش بالأمر السهل؛ حيث لاقى منافسة شرسة من باقي قادة العائلات، لكنه اعتمد على بعض الجنود المرتزقة من الأيونيين والكاريين القادمين من جزر البحر المتوسط لما رآه فيهم من خبرات عسكرية وصلابة قتالية، فأغراهم بالمكوث بمصر والعمل تحت إمرته وأصبحوا نواة جيش مصر، وقد اعتمد «بسماتيك» على زيادة أعداد الأجانب، ليس في الجيش فقط، بل جاء إلى مصر أفواجٌ من التجار الإغريق والآسيويين الذين أسسوا مستوطنات عاشوا فيها. حينها دخل بينهم اليهود الفارون من بلاد الشام بعد سقوط مملكتهم الأولى، فجاءت أعداد من الآراميين اليهود واستوطنوا مصر مرة أخرى وارتكزت تجمعاتهم في جزيرة إلفنتين، وكان منهم عسكريون ومدنيون. وغالبًا ما وُصف العسكريون منهم بأنهم «بعول دجل»، أي: أفراد الوحدة أو المعسكر، ووُصف المدنيون منهم بأنهم «بعول قرية»، أي: أفراد القرية. وقد يوصف بعضهم بالصفتين، أو ينتمون إلى «دجلين»، أي وحدتين، أو ينسبون إلى مقر إقامتهم فيقال «بعول أبو»، و«بعول سونو».

*****

إرميا يهدد مصر

نهاية «يهوذا» والسبي البابلي

غربت شمس آشور وبزغت شمس بابل فسقطت آشور نفسها في يد جيوش «نبوخذ نصر»، ملك بابل، عام ٦١٢ ق. م، ونُهبت كل ثرواتها، وبدأ معها التطلّع إلى وراثة الجارة القديمة والسيطرة على ساحل الشام. ويبدو أن أعداء الأمس أصبحوا أصدقاء اليوم؛ حيث حاول

maktabbah.blogspot.com

ملك مصر «نخاو الثاني»، خليفة «بسماتيك»، أن يرمم ما بقي من الدولة الآشورية ويرسل إليها مساعدات عسكرية لتكون حائط صد ضد الدولة الطامعة الجديدة.. في المقابل، انحاز «يوشيا»، ملك «يهوذا»، نحو ملك «بابل»، بعد ما رأى فيه من قوة صاعدة واستهتر بملك مصر حليف الأمس، وفضّل أن يكون دائمًا تحت أقدام الأقوى. وسرعان ما ظهر الجيش المصري في مجدو فاعترضه الجيش اليهودي ظنًّا منه أنه قادر على مواجهة المصريين، لكنه أخطأ المغامرة ولم يقدِّر قوة الجيش المصري الذي أتى مدربًا وعازمًا على الانتصار. وقد كان له ما أراد، فمع إشراقة عام ٦٠٩ ق. م سحق الجيش المصري جنود «يوشيا» وكبَّدوهم خسائر فادحة وهزيمة مهينة وصلت إلى قتل «يوشيا» نفسه، وبعدها بسطت مصر نفوذها مرة أخرى على المدن الساحلية. وجاءت سخرية القدر بأن يتم الاحتفال بعيد الفصح، وهو الاحتفال بخروج اليهود من مصر وسط سيطرة مصر نفسها على أورشليم.

ومع انشغال مصر بمشكلاتها الداخلية، تطلَّع «نبوخذ نصر» مرة أخرى للسيطرة على «يهوذا»، بعدما أقر مصالحة مع مصر، وأصبح هو مَن يقيم ملك «يهوذا» ويملي عليه أوامره. ويبدو أن أيام «يهوذا» قد قاربت على الانتهاء، فجاء على عرشها الملك «صدقيا» الذي عيَّنه ملك بابل، لكنه كان طامحًا إلى أن ينقلب على سيده البابلي، وامتنع عن دفع الجزية مثل أجداده، معتقدًا أن حليفه المصري القديم سوف يكون سندًا له، فقد أقام «إبريس»، ملك مصر حينها، حلفًا سريًّا بين ممالك الشام «أدوم» و«موآب» و«عمون» و«صور»، ومعها «يهوذا»، لمقاومة البابليين بعدما أرسل رسله خفيةً إلى «صدقيا» بأورشليم.

ومثلما غضب النبي «أشعيا» على الحلف السابق، كان النبي «إرميا» يطوف بشوارع أورشليم يحذر الناس من عدم طاعة «يهوه» والوثوق بمصر. ومع احتشاد جيش البابليين عند أسوار أورشليم، كان الملك «صدقيا» يزرع في جنوده القوة والأمل في النصر، وفي المقابل كان يسمع أنين النبي «إرميا» وهو ينذر شعبه بالهزيمة القادمة والضياع

maktabah.blogspot.com

الأكيد، يتهم حكام «يهوذا» بأنهم بلهاء معاندون، ويطلب من الناس التسليم للبابليين لأنهم قادمون لا محالة، وخرجت نبوءات النبي «إرميا» تخيف الناس بأن ملك مصر سيعود إلى بلده، بينما ستسقط أورشليم ويحرقها «نبوخذ نصر» بأمر من «يهوه». وما إن وصلت تلك الأنباء إلى الملك «صدقيا»، حتى أمر بالقبض على النبي «إرميا» بتهمة الخيانة والميل نحو العدو البابلي، ورُبِط في بئر مملوءة بالوحل، ثم نُقل محبسه في فناء قصر الملك، لكن ظل نحيبه ولعناته تنطلق بين أسوار السجن.

وجاء اليوم الموعود، استيقظت أورشليم عام ٥٨٦ ق. م على نذير نبوءات النبي «إرميا»، وبعد حصار دام ١٨ شهرًا، عانت فيه المدينة الجوع والفقر، وانتشار الأوبئة والأمراض بها.. وفي اليوم التاسع من الشهر السابع من العام الحادي عشر من حكم الملك «صدقيا»، انطلق جنود الجيش البابلي يدكون أسوار أورشليم على رؤوس سكانها بضربات قذائف المجانيق التي تتلظَى لهبًا، ويدمرون حصونها المنيعة حصنًا وراء الآخر ويخترقون ثغراتها، حتى سقطت أعتى حصونها وخرَّت أقوى أسوارها، وفشلت المقاومة في الذود عن تلك الهجمات البربرية فنهب الغزاة أورشليم وحرقوا بيوتها وسرقوا أسواقها وأضرموا النار في القصر الملكي، واتجهوا نحو هيكل «سليمان» الذي كان معجزة عصره، فحطموا أبوابه الخشبية الضخمة وكسروا أوانيه الذهبية وهشموا تماثيله على الأرض حتى تحولت إلى شظايا وساروا بأحذيتهم على الأرض المرمرية.. ودخلت فرقة منهم إلى حجرة الكنز وهشموا بابها بجذوع ضخمة وسرقوا جميع ما بها من كنوز ونفائس وأطفؤوا النار التي كانت توقد في مذبح الهيكل وأشعلوا النار في الهيكل كله، حتى أصبح كتلةً من اللهب تشتعل فوق الجبل، حلم النبي «سليمان» ومعماره الذي تباهى به بين الأمم أصبح رمادًا. وأسر الآلاف من شعب أورشليم ونُقلوا سبايا في موكب مهيب نحو بابل فيما عُرف بالسبي البابلي، وقُدر عددهم بما بين أربعين وخمسين ألفًا من اليهود واستُبدل بهم مزارعون وسكان جدد سكنوا أماكنهم في «يهوذا». أما

maktabah.blogspot.com

«صدقيا»، فقد خطط للهرب مع حرسه متخفيًا نحو «أريحا»، لكن قُبض عليه واقتيد أسيرًا ليلاقي الملك «نبوخذ نصر»، فأمر بذبح أبنائه أمامه ثم فقأ عينيه ورحل ذليلًا مع بقية قومه إلى بابل.

لكن ماذا عن تابوت العهد؟

كُتب في سفره أنه ما إن رأى النبي «إرميا» هلاك المدينة حتى أخذ التابوت وأخفاه في مغارة بجبل نيبو ، بصحبة أدوات الهيكل المقدسة، ثم سدَّ المغارة. ولكن هناك من تبعوه ووضعوا علامات عبر الطريق المؤدي إليه، لكنهم حين عادوا مرة أخرى لم يجدوا تلك العلامات وضاع الطريق إلى التابوت، وما إن عرف النبي «إرميا» وبخهم وأشار إلى أن هذا المكان سيظل مجهولًا حتى يجمع الرب شعبه مرة أخرى.

ويذكر البعض في رواية أخرى أن التابوت قد هُرِّب منذ أيام الملك «منسى»، ملك «يهوذا» من هيكل أورشليم إلى مصر، فكان «منسى» وثنيًا يتعبَّد لـ«بعل» ويقدم له ولمختلف المعبودات الذبائح باسمهم، ونشر الرجس داخل الهيكل وصعد من دور السحر والسحرة، حتى كان ذلك إيذانًا بهلاك «يهوذا». حينها فرَّ عدد من اليهود، منهم كهنة اللاويين، حاملين معهم التابوت في السر واحتفظوا به في كهف بئر الأرواح بأورشليم، حتى وصلوا إلى إلفنتين بمصر حيث بقية جاليتهم. وهناك حفظ التابوت في هيكل إلفنتين، ولكن بعد دماره أصبح التابوت راقدًا تحت ثرى الجزيرة، لكن في بقعة غير معلومة.

وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك؛ حيث تذكر الملحمة الإثيوبية «كبرا نجيشت»، أي: فخر الملوك، أن «منليك الأول»، ابن الملك «سليمان» وملكة «سبأ»، قد جاء يومًا لزيارة أبيه في أورشليم، فحاول «سليمان» الإبقاء على ولده بجواره، لكن «منليك» فضَّل السفر إلى الحبشة مرة أخرى. حينها جهَّز الملك «سليمان» موكبًا مهيبًا يليق بابنه، مليئًا بالهدايا والمجوهرات والذهب، وصاحبه كبار كهنة الهيكل ورجال البلاط. وقد أهدى ابنه تابوت العهد باعتباره ولي عهده. وما إن وصل

maktabah.blogspot.com

«منليك» إلى عرش إثيوبيا ودخل في حروب عدة ومعه التابوت ضمن حاشيته حتى أصبح ينتصر فيها جميعًا، وكل من حاول أن يحتل أرضه رُد خائبًا، بل كانت الغلبة لـ«منليك»، حتى قيل إن التابوت أصبح مستقرًا حتى الآن في قبو كنيسة مريم سيدة صهيون بأكسوم بإثيوبيا.

*****

كنز إلفنتين

«فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجاؤوا إلى مصر». سفر الملوك الثاني (٢٥ – ٢٦).

مثلما جاء بنو إسرائيل إلى مصر إبان عصر الهكسوس يحتمون بها من هلاك الطبيعة، وجاء يهود إسرائيل بعد سقوطها يلتمسون فيها الأمان والحماية من نير الآشوريين، جاء هاربون كثر من يهود، مملكة «يهودا»، إلى مصر للعيش فيها بعدما سقطت دولتهم تحت براثن البابليين، وانتشروا في بقاع مصر، فأسكنهم الملك «إبريس» في تل الدفنة المذكور في التوراة باسم تحفنحيس وتانيس ومنف والأشمونين وأبيدوس، وانخرطوا مثل أسلافهم في خدمة الملك كمرتزقة في الجيش المصري.

لكن أكبر تجمُّع لليهود في تلك الفترة كان تمركز جاليتهم في جزيرة إلفنتين؛ حيث وجدو عضدًا من سابقيهم من رعايا الملك «بسماتيك الأول» قد استقروا في تلك الجزيرة البعيدة، وأسسوا مجتمعًا يهوديًا معزولًا وعاشوا مع أسرهم تحت رعاية الملك، وأقاموا معبدًا كبيرًا للرب «يهوه» بجانب معبد الرب «خنوم»، رب الجزيرة وراعي منابع النيل عند المصريين وصانع البشر من طمي النيل الجنوبي، وسرعان ما تجمعت منازلهم حوله وتمددت مع الوقت حتى أصبحت مجاورة للحي المصري وتبددت العزلة حين أصبحت منازل المصريين مقاربة لمعبد الرب «يهوه».

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

خرج يهود إلفنتين عن شرائع «موسى» التي تقتضي التعبُد في هيكل مركزي في أورشليم، حيث قيامهم بإنشاء هيكل إلفنتين وتقديم الذبائح فيه. ولم يكُن هذا كل شيء، بل ومثل ما كان عليه أجدادهم في الميل إلى الشرك وتلويث عقيدة توحيد «يهوه»، فقد وقع يهود إلفنتين تحت تأثير معبودات البابليين المختلفة، فنراهم يقدمون القرابين لكل من: «شمش» و«نابو» و«بل» و«نرجال»، بجانب طقوسهم لـ«يهوه»، بل وصل الأمر إلى أنهم كانوا يكتبون في بردياتهم تبجيلات لكل من «يهوه» ويلاصق مع اسمه اسم خن وهو خنوم المصري.

ارتفعت أسهم الفرس الأخمينيين كقوة جديدة ضارية أرادت بسط نفوذها بالشرق، وبدأ الملك «قورش» الفارسي في توحيد قبائل الفرس ومنها التطلع إلى توسيع إمبراطوريته، فضرب القوة القديمة المتمثلة في دولة البابليين التي بدأت في ترنح بعد وفاة الملك الأشهر وصاحب أقدم مكتبة في الشرق الأدنى «نبوخذ نصر»، فمع شتاء عام ٥٣٩ ق. م نجح «قورش» في غزو بابل وكسر أسوارها وحرق منشآتها، وما كان من يهود بابل إلا أنهم رحبوا بالغازي الجديد الذي كسر شوكة البابليين، فكانوا خير جواسيس لهم وفتحوا لهم أبواب بابل ودلوا جنود الفرس على ثغرات المدينة واصطفوا يهللون لموكب الجيش الفارسي وهو يخترق شوارع بابل انتقامًا لما جرى لهم على يد البابليين من تهجير وسبي. وجاء رد الجميل في قرار «قورش» بعودة اليهود المنفيين إلى أرضهم القديمة في أورشليم. ولكن على غير المتوقّع، فقد تردد كثير منهم في العودة إلى المدينة القديمة الفقيرة التي لم تكُن سوى أطلال ركام ليس فيها حياة وتركوا تجارتهم المزدهرة وحياتهم المستقرة في بابل.

ولم يكُن هذا هو كل شيء، بل أمر «قورش» في نفس عامه بإعادة بناء الهيكل المتهدم في أورشليم مرة أخرى وتكون نفقات بنائه من خزانة الدولة الفارسية وتقام فيه الطقوس والأعياد من جديد، وجلب

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة

www.maktabbah.blogspot.com

كل متعلقات المعبد القديم التي أخذها «نبوخذ نصر» وأعادها في ذلك الهيكل الثاني، وأرسيت قواعد الهيكل الثاني في حضور حاكم يهودا الجديد «زربابل» قائد المسبيين العائدين لأورشليم.

حاول «قورش» أن يمد إمبراطوريته نحو ساحل الشام، ويغتنم مصر درة التاج. ولكن لم يكُن العمر قد امتد به، فخلفه ابنه «قمبيز»، وكان ملكًا متهورًا شديد العصبية ونجح في إكمال خطة أبيه. وعلى الرغم مِمَّا كانت عليه مصر من سوء أحوال وتردٍّ في الاقتصاد مع تغلغل الوجود الأجنبي داخل الجيش على حساب المصريين، فإن الكوارث لا تأتي فرادى؛ فقد حشد «قمبيز» جيشه بكامل عتاده وفرسانه لغزو مصر، وما إن تقابل مع الجيش المصري حتى قام بخدعة ماكرة، رفع فرسانه القطط على أطراف رماحهم، وهي رمز معبودتهم الشهيرة «باستت»، فارتبك جنود مصر ونجح الفرس في شق صفوفهم ودارت معركة حامية الوطيس بالفرما، كانت فيها الغلبة للفرس ونجحوا في غزو مصر.

ويبدو أن اليهود لم ينسوا طباع الخيانة التي داخل قلوبهم، بقدر ما نسوا فضل مصر عليهم، فما إن شعروا بقوة الحكام الجدد حتى هرعوا للسجود بين أقدامهم وتقديم الولاء والطاعة لهم، بل عاونوهم في غزو مصر ليكونوا رجالهم المخلصين فيها مثلما عاونوا الهكسوس وخدموا تحت لوائهم. فاستغل الفرس كون اليهود أعضاء الحامية العسكرية في إلفنتين وأبقوهم في أماكنهم ومنحوهم العطايا الوفيرة لكسب ولائهم، بينما كان العسكريون اليهود هم أيادي أسيادهم الفرس في الجزيرة، فكان رجال الحامية اليهودية ينطلقون لضرب ثورات المصريين المتكررة ضد الفرس وتعذيبهم من أجل رضا المحتل الجديد.

رأى المصريون تلك الخيانة وتعاظم الشعور بالكره الشديد تجاه اليهود ، الذين اقتسموا معهم الحياة على أرض مصر، بل زاد اليهود من استفزاز المصريين فقدموا قرابين كباش يوم عيد الفصح بهيكلهم، وتناسوا أن الكبش هو رمز معبود الجزيرة «خنوم»، ما أشعل الغضب

maktabah.blogspot.com

أكثر بينهم وبين المصريين. وسرعان ما تحوَّل هذا الغضب إلى نار ثورة تحرق كل ما يملك اليهود في مصر عامة وعلى جزيرة إلفنتين خاصَّةً.

استغل مصريو إلفنتين انشغال الفرس في حروبهم الخارجية وسحب رجالهم منها، واتفق كبراء الجزيرة على الانتقام من اليهود، وسرعان ما تحوَّل كهنة معبد «خنوم» إلى قادة لتلك الثورة، فانقضوا على الهيكل اليهودي وأضرموا فيه النيران حتى انهار تمامًا، وانطلقوا يكسرون كل بيوت اليهود ويسلبون ممتلكاتهم ويلحقون الأذى بكل من تطاله أيديهم من اليهود، وامتدت الثورة من الجنوب إلى الدلتا حيث اشتبك المصريون ضد الفرس وأعوانهم اليهود في عدة مدن، حتى نجح المصريون في طرد الفرس من أراضيهم ونصبوا عليهم حاكمًا وطنيًا عُرف باسم «إميرتايوس».

*****

برديات إلفنتين

ترك لنا يهود إلفنتين كنزًا يصف مجريات حياتهم والتفكير في عقائدهم وحالتهم الاقتصادية، تلك البرديات الثمينة المعروفة باسم «برديات إلفنتين»، وهي المصدر الوحيد لحياة اليهود في تلك البقعة القاصية من أرض مصر. وتتكون تلك البرديات من ١٧٥ بردية تشمل وثائق ورسائل وعقودًا قانونية عائلية وغيرها من الموضوعات التي تخص يهود إلفنتين. وقد ظهرت تلك البرديات إلى النور مع أواخر القرن الـ١٩م، وبُعثرت بين تجار الآثار، بينما استقر جزء كبير منها بين أروقة عدة متاحف، مثل متحف بروكلين والمتحف المصري ببرلين، مع منتصف القرن الـ٢٠م. والمثير في الأمر أن تلك البرديات لم تكُن مكتوبة بالعبرية، ولكن سطرت أغلبها بالأحرف الآرامية، تلك اللغة التي جاء بها اليهود من كنعان واستقروا بها في مصر وأصبحت هي لغة التخاطب والمراسلات بينهم.

وتذكر لنا البرديات امتزاج العلاقات بين المصريين واليهود، ما بين

maktabah.blogspot.com

علاقات تزاوج وتجارة وعمل ومداينات، بحيث تزوجت يهودية برجلين مصريين على التعاقب، وتزوج مصري بآرامية، وتزوج يهود بمصريات. فتروي إحدى البرديات أن المحكمة جعلت امرأة يهودية تقسم باسم المعبودة المصرية «ساتت» في قضية قامت بينها وبين مصري، واشترط مصري على مدينه اليهودي أن يدفع أربعة شواقل فائدة قرضه بمقتضى أوزان «بتاح»، المعبود المصري، وليس بمقتضى أوزان الملك الفارسي، وعامله بمعاملة المرابين اليهود، أي بمقتضى الربح المركب. واشترط تعاقد مصري على متعهدين يهوديين تسلما ٥٠ إردبًا من الشعير والعدس من ملاح مصري لتوزيعها على أفراد الحامية ضمانًا أو شرطًا جزائيًا قدره ألف شيقل، وربما اشترط الملاح نفسه أن يحصل أجره من حصتهما المقررة من بيت الملك وأن يقتضيه من ممتلكاتهما إن امتنعا عن أدائه.

ومن بين البرديات: بردية من «يدونيا بن جمارياه»، كاهن هيكل إلفنتين، يطلب فيها من الحاكم الفارسي لمقاطعة يهودا «جابواس» أن يستغل صِلاته الطيبة بالسادة الفرس فيسمح له بإعادة بناء الهيكل المتهدم في إلفنتين، فيحكي الكاهن البائس كيف شيَّد آباؤه هذا الهيكل البديع، وها قد أصبح حال اليهود جرَّاء ثورة المصريين في كرب شديد وأصبحت نساؤهم كالأرامل، ويختم رسائله المتكررة بذل ومهانة بأنه، هو وزملاؤه من الكهنة، لن يحرقوا أي قرابين إرضاءً للنار التي كان يقدسها الفرس ولن تمسسها جثث حيوانات ميتة حتى لا تُنجَّس النار. ولكن يبدو أن الجواب كان دائمًا يأتي بالرفض خوفًا من الوضع المتوتر بين المصريين واليهود والفرس.

ومع تكوين الأسرة التاسعة والعشرين المصرية المستقلة، بدأت الجالية اليهودية في إلفنتين في التناقص، خاصَّةً مع انتقال عاصمة مصر إلى منديس بالدلتا التي كانت معقل الرب «خنوم»، حينها أصبح لكهنة «خنوم» في إلفنتين سيادة كاملة على الجزيرة، فانتقموا انتقامًا عنيفًا من اليهود بشكل أشد خطورة ممَّا سبق، فشعر اليهود بأن حياتهم

maktabbah.blogspot.com

أصبحت في خطر حقيقي، حتى إن آخر برديات إلفنتين قد سجلت تولي الملك «نفرتس الثاني»، آخر ملوك تلك الأسرة. ومع صعود ملوك الأسرة الثلاثين أعاد الملك «نختنبو الثاني» بناء معبد «خنوم» على أطلال معبد اليهود القديم، حينها مُحي ذكرهم من على أرجاء الجزيرة ولم يتبقّ يهودي واحد في إلفنتين.

*****

يهود الإسكندرية

نجم جديد سطع على العالم القديم، بزغ نوره من بين جبال بحر إيجة ولمع وهجه من مقدونيا ببلاد الإغريق. خرج الإسكندر المقدوني بجيوشه المدججة بالدروع البرونزية والرماح الباسقة ليواجه الإمبراطورية الفارسية الأخمينية، تلك الدولة العتيدة مترامية الأطراف التي سيطرت على كل قوى العالم القديم وأخضعت جميع الحضارات العريقة من النيل وحتى مرتفعات «زاجروس».

غير أن ذلك الشاب الذي لم يتعدَّ عمره الثلاثين قد كسر شوكتهم بعد أن عبر مضيق الدردنيل وسط ٤٨ ألف جندي وأسطول مكون من ١٢٠ سفينة حربية مجهزة، واشتبك معهم لأول مرة، فأخذ يحطم حامياتهم الواحدة تلو الأخرى ويلتهم الأرض من أسفل أقدامهم حتى استولى على أراضي الأناضول كافة. وجاءت المواجهة الكبرى في «إيسوس» بين الإسكندر الأكبر وجيش دارا الثالث في عام ٣٣٣ ق. م، وكانت مواجهة حامية الوطيس حقق فيها الإسكندر النصر الحاسم وشق وثاق الجيش الفارسي ماديًا ومعنويًا حتى هرب الشاهنشاه من أرض المعركة لينجو بحياته ويلملم ما بقي له من ممتلكات. وأصبحت المدن الفينيقية التي كانت تحت نير الاحتلال الفارسي مفتوحة أمام جيش الإسكندر، فدخلت قواته مدينة صور بعد مقاومة عنيفة من أهلها ومنها دخل غزة ثم فتحت له أورشليم أبوابها بهدوء، حينها أقبل عليه أحبار اليهود وأخبروه بما يذكره سفر دانيال بقدوم ملك إغريقي سيغزو أراضي

الفرس، ولن يقوى إمبراطورها على مجابهته، فقد كانت رؤيا النبي تبشر بوجود كبش ذي قرنين ينطح غربًا وشمالًا وجنوبًا لا منقذ من يده، وأنه حسب الرؤيا هو ذو القرنين، ففتحوا له أبواب المدينة واستقبلوه بملابس بيضاء. وسار مع كبير الأحبار نحو هيكل أورشليم، فقدَّم القرابين باسم الرب «يهوه».

وجاء الدور للظفر بالجائزة الكبرى، مصر. فعندما وصل بجيشه إلى الفرما لم يجد أي مقاومة تُذكر، سواء من قِبَل المصريين أو حتى حاميات فارس التي عسكرت على أرضها أكثر من ١١ عامًا، ثم عبر النيل ووصل إلى العاصمة منف، فاستقبله أهلها كمحرر منتصر بعد أن عاشوا عقودًا في ذل حكم الفرس، ورأوا في الإسكندر الفارس المخلص، خاصَّةً بعدما انتشرت أسطورة أن روح الملك المصري «نختنبو الثاني» الذي اختفى بعد احتلال فارس لمصر قد حلَّت داخل الإسكندر.

بعد ذلك، سار بقواته بحذاء الفرع الكانوبي للنيل، متجهًا نحو ساحل البحر المتوسط، وهناك استقر بمنطقة محصورة بين بحيرة مريوط والبحر المتوسط، عند جزيرة صغيرة قريبة من الشاطئ تُسمى «فاروس»، حينها قرر أن يبني مدينة تحمل اسمه وتكون حاضرة العالم القديم كله ومنارة للفكر والثقافة الإغريقية وبوتقة يختلط فيها الإغريق والمتأغرقون وأفكارهم بالسكان الأصليين، فكانت الإسكندرية عاصمة دولة البطالمة من بعده.

وادَّعى عددٌ من المؤرخين اليهود، أمثال «يوسيفوس»، أن الإسكندر قد اصطحب من أورشليم مجموعة كبيرة من الجند اليهود إلى مصر بعدها أقنعهم بالخدمة في جيشه، وكعادتهم اشتموا في عنفوانه فرصة لا تعوَّض للعيش تحت جنح المنتصر، إلا أنهم لم يستقروا فيها وعاد بعضهم إلى بلاد الشام مرة أخرى.

*****

أسوار حي اليهود

كانت المفاجآة الكبرى حين تُوفي الإسكندر وهو في ريعان شبابه وسط جنوده بقصر «نبوخذ نصر» ببابل بعد انتصارات تحدث عنها العالم، مات راقدًا على فراشه دون أن يترك لتلك الإمبراطورية المهولة وريثًا قويًا سوى طفل رضيع هو الإسكندر الرابع الذي وُلد بعد وفاته بشهور من زوجته الفارسية «روكسانة». فانقضّ قادة جيشه يقسمون أرجاء الإمبراطورية بينهم، وجاءت مصر من نصيب القائد «بطليموس» الذي نصَّب نفسه مؤسسًا لدولة البطالمة تحت اسم «بطليموس الأول سوتير»، أي: «المنقذ»، بينما اقتنص الشام وبلاد النهرين وفارس القائد «سلوقس»، مؤسس الدولة السلوقية.

وكانت رياح الشر تُنذر بحرب وشيكة بين «بطليموس الأول» و«أنتيجونس الأول»، أحد قادة الإسكندر الذي حكم آسيا الصغرى لضم إقليم جنوب سوريا، وحاول «أنتيجونس» الاستيلاء على سوريا من مصر، إلا أنه سقط صريعًا في معركة إبسوس بالأناضول عام ٣٠١ ق. م، فاجتمع الحلفاء مرة أخرى وآلت سوريا إلى حكم السلوقيين.

لم يعترف «بطليموس» ونسله بهذا التقسيم وبسط سلطانه على القسم الجنوبي الغربي من الهلال الخصيب، المسمى كل سوريا أو سوريا الجوفاء، فخاض السلوقيون ضدهم سلسلة من الحروب عُرفت باسم الحروب السورية، لم يستطيعوا في السنوات الأربع الأولى منها تثبيت سيادتهم العسكرية فيها، فكان جيش مصر البطلمي له الغلبة الكبرى ولم تقُم مواجهة مباشرة طيلة حياة كل من «بطليموس الأول» و«سلوقس الأول».

ومثلما كانت أرض كنعان هي المأوى لأسباط العبرانيين بعد عودتهم من السبي بمقاطعة يهودا، ظل كثير منهم في حال استقرار بالبقعة نفسها تحت الراية الهلنستية يعملون بتجارة الرقيق والزراعات المختلفة. وعلى الرغم من مرور قرنين من السلام تحت حكم الفرس،

maktabbah.blogspot.com

وجدت الدولة العبرية نفسها مرة أخرى عالقة وسط صراعات على السلطة بين إمبراطوريتين عظيمتين: الدولة السلوقية في سوريا، والدولة البطلمية في مصر، فاستولى «بطليموس» على الإقليم أكثر من مرة خلال صدامه مع السلوقيين، وقام بتهجير عدد كبير من سكانها اليهود إما أسرى وإما طوعًا إلى مصر، فعاملهم معاملة حسنة ومنحهم إقطاعيات ليسكنوا فيها، واستخدم عددًا كبيرًا منهم داخل الجيش مثلما عمل سيده الإسكندر من قبل، ووجد فيهم ضالته في إقامة مجتمع اقتصادي يخدم مصالح الدولة.

وما إن هبط اليهود داخل مصر للمرة الثالثة حتى انتشروا في ربوعها، لكن أغلبهم استقر في المدينة الأم الإسكندرية، وسكنوا الحي الرابع المسمى «دلتا» الذي خُصِّص لهم من أصل خمسة أحياء تكون منها الإسكندرية حتى ادُّعي أن عدد سكان اليهود قد بلغ نحو مليون، وهو ما كان في حينه نحو ثُمن سكان مصر. فكان أغلب من قدموا من «يهوذا» صغارًا فلاحين وصناعًا بسطاء آثروا العيش في هدوء دون صخب بجوار أصحاب الأرض المصريين والسكان الجدد الإغريق. وكما كان نظام الدولة المدينة في مدن بلاد اليونان، وهو أن يحكم شعب المدينة أنفسهم بقوانينهم ومجلسهم بشكل مستقل، جاء الإغريق إلى مصر محملين بالمبادئ والأفكار نفسها. إلا أن خلفاء الإسكندر من البطالمة لم يتوسعوا في سياسة إنشاء المدن اليونانية ذات الطابع المستقل بعدما أرادوا حكم مصر بشكل مطلق وآثروا انتقاء الدم الإغريقي بعيدًا عن بقية الأمم. ولم يكُن كل من يعيش في الإسكندرية أو بقية المدن اليونانية في مصر يحمل حق المواطنة وامتيازاتها، لكنها اقتصرت على العناصر الممتازة من الإغريق من كبار رجال الدولة وأصحاب الطبقة العليا. بينما أصبحت تجمعات اليهود في الإسكندرية تشكل جاليات عُرفت باسم «بوليتيوما»، ولكل جالية رئيس سُمي «إثنارخوس» ومجلس شيوخ على النسق الإغريقي سُمي «جيروزيا».

وكانت «البوليتيوما» تتركَّز حول هيكل المدينة الذي يقيم فيه اليهود

maktabah.blogspot.com

شعائرهم المختلفة ويتجمعون فيه وحوله ليناقشوا أحوالهم، كما كان للعبادة ودرس التوراة، بل لقد كان أحيانًا يُعتبر «مضيفة»؛ وذلك لأنه كان متصلًا به حجرات خاصَّةً لاستضافة الغرباء، في حين أدَّى المعبد في البلدان الصغيرة والقرى دورًا أكبر، حيث ضم كل المؤسسات العامة للمجتمع مثل المحكمة وإدارة التسجيل. ومع الوقت أصبح لليهود الحق في ممارسة طقوسهم بحرية، وتنفيذ تلك الشرائع المتوارثة التي قدم بها أجدادهم من «يهوذا»، شرائع التوراة التي جاء بها «موسى» منذ مئات السنين.

شيئًا فشيئًا، بدأ اليهود يتلمَّسون خطوات مهمة داخل المجتمع الجديد الذي تشكَّل على يد البطالمة وتجردوا من قيود القومية الضيقة والانعزالية، وتغلغلوا داخل الأوساط الحكومية من أجل الحصول على مناصب في الدولة البطلمية، كما تجردوا من هويتهم وانسابوا داخل المجتمع البطلمي الإغريقي حتى تأغرقوا، فارتدوا الأزياء الإغريقية وتسموا بأسماء إغريقية، فما أن تطأ قدمك أرض الإسكندرية لا تعرف الفارق بين الإغريقي واليهودي. وأصبحت اليونانية هي لغتهم التي يتحدثون بها في حياتهم اليومية. ولما كانت اللغة الإغريقية هي لغة التجارة والأدب والمراسلات، وهي لغة صفوة الإسكندرية ومن ثَم الطبقات الراقية من المجتمع اليهودي، فباتت لغة ترقيهم بين أوساط المجتمع ودوائر الدولة.

وكان أول ما اعتمد عليه اليهود هو توغلهم في الخدمة العسكرية؛ فهم المرتزقة الذين اعتادوا حمل السلاح والحياة في حاميات على الحدود منذ أن سكنوا إلفنتين؛ حيث آمنوا بأن وجود السلاح بين أيديهم سوف يعطيهم أفضلية وقدرًا من الأمان. واستغلوا رضا «بطليموس الأول» عنهم، وحين أقام حامية في برقة كان قوامها بعض عسكر يهود، ومنهم من وصل إلى رتبة ضابط. وكان ترقيهم في السلك العسكري وانضمامهم لحاميات إغريقية قد منحهم أراضي وإقطاعيات في ريف مصر جعل منهم أصحاب نفوذ بتلك القرى وذوي ثراء كبير بين سكانها.

maktabah.blogspot.com

حتى جعلوا من أنفسهم أصحاب المرتبة الثانية في المجتمع بعد الإغريق مباشرة وقبل المصريين أصحاب البلاد الأصليين.

*****

التوراة الجديدة

بعد أن وصل «بطليموس الثاني» إلى الحكم، قرر بناء صرح ثقافي هو الأكبر والأهم من نوعه، ليس في مصر فقط، بل في العالم الهلنستي كله، مكتبة الإسكندرية. كان يهود الإسكندرية يتحدثون باليونانية، الذي كان شرطًا للمواطنة، كما كانت لغة التجارة والأعمال والحياة الاجتماعية، بينما انزوت اللغة العبرية حتى كادت تُنسى بين يهود مصر، وأصبحت وسيلة ضعيفة للاتصال عند يهود الإسكندرية، حتى تكاد تقتصر على بعض المجامع والهياكل، فتصف لنا رسالة «أريستياس» لأخيه «فيلوقراطيس» قصة خيالية عن اقتراحه على الملك أن يضيف إلى المكتبة ترجمة «القوانين اليهودية». ولما كان «بطليموس» رجلًا مثقفًا، فقد وافق على الاقتراح وأرسل وفدًا إلى أورشليم برسالة إلى «إليعازر»، رئيس الكهنة، يُطالبه بإرسال ستة شيوخ من كل سبط من الأسباط الاثني عشر إلى الإسكندرية للقيام بالترجمة التي اقترحها «أريستياس». حينها وصل الاثنان والسبعون شيخًا في الوقت المحدد ومعهم نسخة من التوراة مكتوبة بحروف من ذهب على رقوق من الجلد. استقبلهم الملك «بطليموس الثاني» استقبالًا حافلًا وأقام لهم مأدبة فخمة أراد خلالها أن يمتحنهم فيها بمسائل صعبة ويعرف قدر علمهم حيال تلك المهمة الشاقة التي سيُكلَّفون بها، ولما اطمأن إلى علمهم رتّب لهم خلوة رائعة في جزيرة فاروس. وكان «ديمتريوس»، أمين المكتبة، يحفزهم على إتمام الترجمة؛ حيث إن الملك قد زوَّدهم بكل ما يلزمهم من طعام وشراب وجميع وسائل الراحة. فعكفوا على العمل، وقارنوا النتائج لكي تتفق فيما بينها، وكل ما اتفقوا عليه كانوا ينسخونه تحت إشراف

maktabah.blogspot.com

«ديمتريوس». وبهذه الطريقة تمت الترجمة في اثنين وسبعين يومًا وعُرفت باسم التوراة السبعينية.

*****

هيكل «سليمان» في مصر

استمر تغلغل اليهود داخل المجتمع البطلمي حتى اخترقوا أروقة البلاط ووصلوا إلى مناصب عليا داخل العاصمة، وأصبح لهم نفوذ في صناعة القرار، ليس داخل القصر فحسب، بل في مختلف الدوائر الحكومية، خاصَّةً المالية. فقام الملك «بطليموس الثالث» بتعيين دوسيثوس بن دريميلوس مستشارًا له، بل حافظ على تلك المكانة في عهد خليفته «بطليموس الرابع»، وعلى الرغم من يهوديته فإنه حصل على منصب كاهن الملكين المقدسين «الإسكندر المقدوني» و«بطليموس الثالث».

ومال كثير من ملوك البطالمة نحو اليهود حتى منحوا بعض المعابد نفس حقوق الحماية كالتي كانت تُعطى للمعابد المصرية. ولم تتركز المعابد اليهودية في الإسكندرية التي ضمت عشرات المعابد فحسب، ولكن انتشرت في بقية بقاع مصر، مثل معبد شديا بالقرب من الإسكندرية، ومعبد كزنفيريس بالوجه البحري، ومعبد أتريبس (بنها حاليًا)، ومعبد نتريا (وادي النطرون)، ومعبد كروكوديلوبوليس - أرسنوي بالفيوم، وغيرها من المعابد التي لم يُستدل على أثرها حتى الآن.

ولم يتوقف تغلغل اليهود عند هذا الحد، لكنهم عملوا في نشاطهم القديم المحبَّب، وهو جباية الضرائب والربا، فقد حصدوا أرباحًا طائلة من جرَّاء إقراض أموالهم مصحوبة بفوائد باهظة جعلتهم على درجة كبيرة من الثراء، كما عملوا في جمع ضرائب النقل بالنيل وصيد الأسماك وزراعة الكروم والنخيل وصناعة النعال وغيرها من الصناعات. وكان هذا العمل من أسباب كره المصريين لليهود، حين كانوا يلتزمون

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

بجباية الضرائب بالقوة والإصرار من المصريين والتقرب بهذا العمل إلى أسيادهم الإغريق.

ويبدو أن اليهود لم يتمسكوا بشرائع «موسى» حرفيًا، ولكن في سبيل اندماجهم في المجتمع البطلمي قاموا بالتنازل عن بعض منها وآثروا قدرًا من المرونة تجاه ظروف الحياة، حتى إنهم التجؤوا إلى القوانين البطلمية بدلًا من قوانين التوراة حتى يظلوا تحت الرضا الإغريقي. فقد عاشوا بجوار جيرانهم الإغريق ولم يمانعوا من رؤية مواكب المعبودات مثل «إيزيس» و«أفروديت» و«سيرابيس» تطوف شوارع الإسكندرية دون أن يكون في قلوبهم غصة من تلك الممارسات الوثنية، ولربما ورثوا من أسلافهم الأسباط هذا الميل إلى الوثنية والبعد عن الإيمان الحقيقي تحقيقًا لمصالحهم الخاصّة.

ولكن يبدو أن الإيمان بالتوحيد قد واجه تحديًا حقيقيًا، حينما تولى بطليموس الرابع فيلوباتور عرش مصر، وكان شديد التعلّق برب الخمر الإغريقي «دينوسيوس» وأراد أن يجعل عبادته فرضًا على سكان البلاد، حتى إنه نفسه تشبّه به. وعلى عكس ما كان متوقّعًا يصف لنا سفر المكابيين تمسك اليهود بعبادة ربهم «يهوه» ورفضهم تقديم القرابين باسم الرب الإغريقي المفروض عليهم، فأثار ذلك حنق الملك «فيلوباتور» وأمرهم بوشم جلودهم برموزه، وهو يعرف أنه أمر محرَّم عليهم، ووصل به الأمر إلى أنه قرر الخلاص منهم. فأمر بحشد جموع يهود المدينة في حلبة سباق الخيل وقام الجنود بإحضار فيلة ضخمة وأطلقوها عليهم بعدما أشربوا تلك الفيلة خمرًا كي تترنّح وتُصاب بحالة هياج فتفتك باليهود. ولكن حدث ما لم يتوقعه أحد؛ فبدلًا من أن تنطلق الفيلة نحو اليهود ضلت طريقها وسحقت جنود الملك، فشعر الملك بأن أمرًا ما خرج عن إرادته وعدل عن مطاردة اليهود بينما اعتبر اليهود أن بركة «يهوه» قد حلت بهم وجعلوا من تلك الحادثة عيدًا لنجاتهم.

بعدما تولى حكم مصر مجموعة من البطالمة العظام حافظوا على

maktabah.blogspot.com

حدودها وزادوا من مواردها، دارت عجلة الزمن وأتى من بعدهم عدة ملوك ضعاف الشخصية انفرط الزمام من بين أيديهم. ففقدت إمبراطوريتها أمام العدو التقليدي المتمثل في الجار السلوقي ودب الخلاف على العرش بين «بطليموس السادس» وأخيه «بطليموس الثامن».

على الجانب الآخر، تولّى عرش الدولة السلوقية ملكٌ طموح أراد أن يثبت جدارته ويبسط سيطرته على مجريات الأمور، إنه «أنتيوخس الرابع». كان هذا الملك الجديد ذا فكر يميل إلى إدماج الحضارات والثقافات معًا، حيث كان متأثرًا بشخصية الإسكندر المقدوني وما أراد أن يفعله من إدماج جميع الثقافات تحت القبعة الإغريقية، بالإضافة إلى تربيته في روما حين كان أسيرًا طيلة اثني عشر عامًا، فمد سيطرته على أورشليم وعمل على الدمج بين اليهود في أورشليم والإغريق متناسيًا الفارق بين ثقافة وثنية وأخرى سماوية، ونشر الثقافة الإغريقية بالعنف والإجبار حتى وصل به الأمر إلى وضع تماثيل للمعبود «جوبيتر» داخل هيكل أورشليم وأقام له الذبائح بدلًا من «يهوه» رب اليهود، كما أقام تمثالًا للمعبود «زيوس» فوق مذبح الهيكل النحاسي. فأصبح جنود الملك الوثنيون ورجاله يمارسون طقوسهم من سكْر وعربدة وخلاعة تقربًا للمعبود «باخوس»، رب الخمر، ودنسوا أروقة الهيكل بذبح الخنازير على مذبحه، بل أمر «أنتيوخس» بإتلاف جميع نسخ التوراة أو أي أسفار أخرى وحرمان اليهود من ممارسة طقوسهم المعهودة كالختان وصلوات السبت والحكم على متبعيها بعقوبات غليظة تصل إلى حد الإعدام، ما جعل بعض اليهود يضمرون له الكره الشديد وتشتعل نار الحقد والغضب داخل صدورهم ضده.

وصل هذا الأمر إلى «أونياس الثالث»، الكاهن الأكبر للهيكل، وهو من اليهود المحافظين، فأظهر رفضه التام لتلك السياسة الجديدة وعمل على مقاومتها.

ولكن كالعادة الخيانة تنبع من الداخل، فأبدى أخوه «يوشيا» موافقته

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

على حركة الأغرقة وقاد تيارًا كبيرًا مؤيدًا لتلك الحركة طمعًا في أن يحصل على رضا الملك، فغيَّر اسمه إلى الاسم اليوناني «ياسون» بدلًا من اسمه اليهودي.

وقام «ياسون» ببناء الجيمانيزيوم في أورشليم، وكان اليهود يتدربون فيه عرايا حسب العادة اليونانية على عكس التقاليد اليهودية، كما استخدمت الأسماء اليونانية للأماكن التي تحمل أسماء يهودية، وهي أماكن مقدسة، وأصبح هذا التيار الهيليني في نظر كثيرين هو التيار التقدمي الذي سيقود الأمة اليهودية إلى الصلاح والقوة، على عكس هؤلاء المحافظين من اليهود الذين اعتبرهم متخلفين عفى الزمن على تعاليمهم القديمة.

زادت أطماع «ياسون» وخطَّط للحصول على منصب الكاهن الأكبر من أخيه، فدفع رشوة كبيرة لرجال البلاط في محاولة لاستمالة الملك أنتيوخس. وما كان من الملك إلا أن يجمع حوله رجالًا مؤيدين لسياسته، فلم يجد أنسب من «ياسون» لهذا المنصب الذي يكسب به شعبية وسط اليهود.

ووجد أن رتبة رئيس الكهنة هي سياسية، وبالتالي يمكن له كملك أن يُعيِّن من يختاره. لكنه وجد من يدفع له رشوة أعلى فوقع الاختيار على الكاهن «مينلاوس»، معتمدًا على شقاق حدث بينه وبين «ياسون»، فأصبح هو الكاهن الأكبر للهيكل، فزاد النار بين المحافظين، معتبرين أن تلك المكانة هي رتبة مقدسة تعود قداستها إلى عهد النبي «موسى»، ومن ثم فإن الحصول عليها بالمال خرق كبير لتعاليم التوراة.

وسرعان ما أحكمت المؤامرة ضد «أونياس» للخلاص منه تمامًا، فتكاتف كل من «مينلاوس» ورجال من البلاط، وقتلوه. حينها أحس ابنه «أونياس الرابع»، آخر سليل شرعي لكهنة الهيكل، بالخطر ولم يعُد له أي أمل في الزعامة الدينية أو السياسية في أورشليم، وقرر الهروب إلى مصر، الحليف القديم والعدو الأول للسلوقيين.

maktabah.blogspot.com

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

كلمة السر.. «أونياس»

وطئ «أونياس» أرض مصر ومعه الآلاف من أتباعه في هجرة جماعية جديدة لليهود، فوجد الملك بطليموس السادس المسمَّى «فيلوميتور»، أي: المحب لأمه، يفتح له ولأتباعه ذراعي الاستضافة، فعرف عنه ميله الشديد إلى اليهود؛ حيث تربَّى على يد معلم وفيلسوف يهودي يُدعى «أريستوبوليس» جعله منذ صغره يتعاطف معهم بشكل كبير، فأهدى «أريستوبوليس» كتابه عن اليهود للملك وقرأ أجزاء منه أمامه ليؤثر فيه ويشكل ثقافته.

ولم يكُن «أونياس» ذا شخصية عادية، لكنه سخَّر ذكاءه الشديد في التغلغل داخل أروقة القصر وأقنع الملك «فيلوميتور» بآرائه المختلفة ففتح له «فيلوميتور» أبواب قصره وجعله هو وقومه من المقربين له ولأخته وزوجته الملكة «كليوباترا الثانية». ولم يكتفِ بذلك، لكن الملك منحه أرضًا شاسعة الأطراف ليقيم عليها هو وقومه، عُرفت باسم «أرض أونياس» التي ضمت مدينة «ليونتوليس» في إقليم هليوبوليس، وهو الإقليم الثالث عشر بمصر، الذي ضم أيضًا مدينة أون، العاصمة الدينية القديمة، فأسس «أونياس» بها مستعمرة كبيرة أصبح هو زعيمها، وزاد من طموحه بأن وافق له الملك على إنشاء هيكل جديد في تلك الأرض على غرار هيكل أورشليم، ليكون هو الهيكل البديل والقبلة الجديدة لليهود، ويجمع شتاتهم من سوريا إلى مصر.

ومثل هيكل إلفنتين الذي دمره المصريون في القرن الرابع قبل الميلاد، كان هذا الهيكل الجديد هو الوحيد الذي ضم تجمعًا يهوديًا خارج الأرض المقدسة، نجح «أونياس الرابع» من خلاله أن يصبح هو كاهنه الأكبر ويحقق فيه طموحه الذي فقده في أورشليم، فعين به كهنة من سبط اللاويين ومن عشيرته. ومن أجل أن يقنع المتشددين من اليهود بمدى شرعية هذا الهيكل، اعتمد «أونياس» على نبوءة النبي «إشعيا» بأن معبدًا يهوديًا سيُقام في مصر.

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

أقام «أونياس» معبده الجديد على أطلال معبد «بوباستت» المهدم الخاص بالربة «باستت»، ربة الحب والخصوبة التي ظهرت على هيئة قطة رشيقة، ويبدو أنه كان أصغر في الحجم من معبد أورشليم وأقل تفصيلًا منه، فكان على شكل برج عالٍ، ولم يضم بداخله شمعدان المينوراه ذا الأذرع السبع، ولكن مجرد مصباح كبير. وعلى غرار قلعة معبد «باستت» القديم، أقام «أونياس» قلعة بجوار الهيكل لتحميه من أي هجمات. وما إن تأسس هذا الهيكل وبدأ في أداء دوره المنشود، حتى شمله الملك «فيلوميتور» بالعطف على هذا الهيكل ومنحه كثيرًا من العطايا من أخشاب وأضاحٍ.

وجد «أونياس» أنه يجب أن يتعلم من أخطاء أبيه في أورشليم وأن الحلول السلمية لا تجدي عند الصدام، فأقنع الملك أن يؤسس وحدة حربية يهودية تحت قيادته تحمل السلاح وتكون في عون «فيلوميتور» وتحت إمرته، فنصب ولديه «أنانياس» و«هلكياس» قائدين على هذا الجيش.

وعلى الرغم من أن الجو العام كان مستقرًا لليهود في مصر، فإنه لم يكُن مستقرًا للمصريين ولملكهم بطليموس السادس فيلوميتور، كان الملك الطموح «أنتيوخس» واقفًا له بالمرصاد يريد ضم مصر إلى أملاكه فحشد جيوشه مستغلًا تلك الحالة المزرية وتقدم نحو «بيلوزيوم» ودخلها دون مقاومة، ومنها اتجه إلى منف وأعلن نفسه ملكًا على مصر حسب التقاليد المصرية القديمة.

شعر بطليموس فيلوميتور بالهزيمة والضعف حتى دون أن يحارب، فجمع كنوزه وخطط للهرب إلى جزيرة ساموتراقيا، شمالي بحر إيجة، لكن «أنتيوخس» أمسك به أسيرًا وحدد إقامته في منف، وأجبره على توقيع معاهدة معه، كان من أهم شروطها: الاعتراف بحماية «أنتيوخس» على مصر.

في تلك الفترة، حدثت تطورات كبيرة خلف أسوار الإسكندرية، فما إن

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

وجد السكندريون ضعف هذا الملك المستهتر الذي ترك مصر فريسة لعدوها، حتى أعلنوا أخاه الأصغر «بطليموس» ملكًا عليهم، وبدأ رجال الإسكندرية يحشدون قواهم ويقيمون المتاريس والدفاعات حمايةً للمدينة. حينها تحصَّن «بطليموس السادس» بمنف واستعان بجيش «أونياس» الذي أعده لتلك اللحظة، فأعانوه بقوة وساعدوه في أن يظل ملكًا مقابل أن يُغدق عليهم بالمال، وأصبح حكم مصر مناصفةً بين ملك في الإسكندرية وآخر في منف تحت رعاية القوة السياسية الجديدة في العالم، روما.

ومع وفاة الملك «بطليموس السادس» عام ١٦٣ ق. م، التفَّ السكندريون حول الملك «بطليموس الثامن» الذي نصَّب نفسه ملكًا كاملًا على مصر وحمل لقب «يوراجيتس»، أي: الخير، وتزوَّج بأرملة أخيه «كليوباترا الثانية»، ومن أجل ضمان العرش، تخلص من ابن أخيه «بطليموس السابع» وقتله، ما أدَّى إلى اشتعال الغضب ضده وانتشار الثورات بين شوارع الإسكندرية وبقية مصر، حتى وصل الأمر إلى محاولة إشعال القصر الملكي نفسه، فظهر «أونياس» مرة أخرى على مسرح الأحداث وسارع بجيشه إلى الإسكندرية لنصرة الملكة الأم، وما إن انتصر «بطليموس الثامن» حتى بدأ يدبر أمور الانتقام من الذين ناصروا أعداءه، وكان لليهود النصيب الأكبر من هذا الانتقام، فشعر «أونياس» بشرِّ الملك ضده فعاد سريعًا إلى أرض «أونياس» ليتحصن بها، فلم يجد «بطليموس الثامن» أمامه غير يهود الإسكندرية ليصبَّ عليهم غضبه، فنكل بهم وأذاقهم ويل الاضطهاد والعذاب، فأمر بقذف اليهود الإسكندريين ومعهم أزواجهم وأطفالهم أمام أفيال تم إحضارها وسقيها خمرًا كي تفقد توازنها وتهيج حركاتها ومن ثم تقوم بدهسهم وتفتيت عظامهم، مثلما فعل «بطليموس الرابع»، وقد أثار هذا المنظر المريع إحدى محظيات الملك، وكانت تُدعى «إيثاكا» أو «إيرين»، فتوسلت إليه للعفو عنهم، فقرر الملك العفو عنهم وأوقف حالة الاضطهاد وعقد اتفاق هدنة مع ابنة «كليوباترا الثانية» التي حملت اسمها نفسه وعُرفت بـ«كليوباترا الثالثة» وتزوج بها، فحفظ يهود

الإسكندرية ذكرى هذا اليوم واعتبروه أيضًا عيدًا سنويًا لهم.

كان المصريون في تلك الفترة قد أشعلوا الثورات في أماكن متفرقة من أرض مصر بعدما تنامى الشعور الوطني لديهم بعدما ضرب الضعف أركان الدولة، في حين وقف الإغريق ضد الملك رافضين سياساته الهوجاء، فما كان من اليهود، وهم الطرف الثالث في المجتمع، إلا أن مالوا ناحية الملك وأصبحوا رجاله المخلصين فزادت مكانتهم في الإسكندرية ونالوا عدة امتيازات وتغلغل نفوذهم داخل البلاط ومراكز اتخاذ القرار أكثر وأكثر في مقابل إضعاف الإغريق والحط من مكانتهم.

وجاء إلى عرش مصر الشاب «بطليموس التاسع» بعد وفاة أبيه، فحكم بجوار أمه «كليوباترا الثالثة»، لكنها أرادت إزاحته عن العرش في مقابل إجلاس أخيه «بطليموس العاشر»، فتجددت الحروب الأهلية مرة أخرى داخل أروقة القصر وفي شوارع العاصمة. فانحاز جنود الجيش للملك الجديد، بينما استعانت الملكة بالجند اليهود، حيث كان أهالي أرض «أونياس» من أتباع الملكة وموالين لها كما كان أجدادهم، وسرعان ما تحرك الجيش اليهودي بقيادة ابني «أونياس»: «أنانياس» و«هلكياس» لنصرتها.

كانت دولة الحشمونيين قد أرست قواعدها في يهودا بفلسطين بعد ثورة عارمة ضد حكم «أنتيوخس الرابع» نتيجة ما قام به من حملة اضطهاد دموية، عُرفت باسم ثورة المكابيين ونصبت ملوكًا من نسل «ماتاتيا»، وهو زعيم أسرة الحشمونيين المحافظة، وكان طاعنًا في السن وتسلَّم قيادة الثوار بعد موته ابنه «يهوذا» الذي حمل لقب المكابي، وتعني المطرقة، بعد اكتسابه ولاء معظم اليهود المتعصبين خارج بيت المقدس. في أثناء فترة حكمه، الممتدة من ١٠٣ وحتى ٧٦ ق. م، حاول ثاني ملوك المكابيين، ويُدعى «إسكندر يانوس»، استعادة بعض ما كان للمكابيين من قوة سابقة، مدعيًا أنه ملك اليهود المنتظر، لكنه أخفق في تحقيق أي إنجاز يُذكر، فقد عمل على التوسُّع بين جيرانه وفرض الرأي استعمال القوة ضد مواطني دولته، بينما كانت

أحوال المكابيين في تردٍّ وانهيار كبيرين.

شعرت «كليوباترا الثالثة» بتهاوي عرش المكابيين وأرادت أن تمد نفوذها على تلك المنطقة، فأرسلت «هلكياس» لقيادة جيشها في الحرب هناك، لكنه لقي حتفه، فبادرت بإرسال أخيه «أنانياس»، وقد نصح بعض مستشاري الملكة بأن تستولي على ممتلكات الملك «إسكندر يانوس»، لكن «أنانياس» قد عارضها، ناصحًا بأنها إذا استمرت في الحرب ضد الحشمونيين فإن كل يهود مصر سيصبحون أعداء لها. وكان لتلك النصيحة أثر كبير ومدوٍّ بين أروقة القصر؛ حيث امتثلت الملكة لتلك النصيحة وأصبح رأي «أنانياس» مثل أبيه له صدى كبير في توجيه السياسة المصرية ودلالة على تشعب قوى اليهود في القصر، ونجح «أنانياس» برأيه في الحفاظ على مملكة اليهود وحمايتها من العدوان.

*****

ثلاث خيانات متكررة

«لا يوجد شعب في العالم إلا كان منه جماعة من إخوتنا».

يوسيفوس اليهودي

استفاق العالم على قوى جديدة تطمح إلى السيطرة عليه قادمة رياحها من الغرب، فقد جالت روما للسيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية، ومنها تطلعت إلى فرض نفوذها على شمال إفريقيا وهسبانيا وجنوب فرنسا، وبدأ مجلس الشيوخ، المعروف بـ«السناتو»، في فرض سياساته على الدولتين السلوقية والبطلمية، وأصبح حكامهما مجرد دُمى يتلاعب بهم شيوخ روما وقناصلها، في انتظار اللحظة المناسبة للسيطرة على حوض البحر المتوسط كله سياسيًا وعسكريًا.

استمر وضع الانهيار داخل الإدارة المصرية وزاد الصراع على العرش حتى وصل إلى ملك ضعيف يسمى بطليموس الثاني عشر إيوليتس،

أي: الزمار؛ وذلك لحبه الموسيقى وانغماسه في اللهو والطرب، بينما كانت قدراته السياسية والفكرية محدودة لأبعد حد. فشعرت روما بهذا الضعف وباتت تهدده بخلعه عن مصر جرَّاء وصية وهمية تركها سلفه بأن مصر سوف تؤول إلى شعب روما بعد وفاته.

فما كان من «الزمار» إلا أن دفع ثمن جلوسه على العرش واعترافهم به ملكًا على مصر بالمال، ولم يكن من الصعب شراء أي شيء في روما ما دام الثمن متوافرًا، فزار «الزمار» روما ودفع لأفراد مجلس الشيوخ ٦٠٠٠ تالتنوم، وهو ما يعادل نصف دخل مصر، بالإضافة إلى تنازله عن قبرص لتكون تحت الحكم الروماني.

وما إن وصلت تلك الأخبار إلى الإسكندرية حتى ثار شعبها ضده وطالبوا بزوجته كليوباترا تريفانيا وابنته «برينيكي» ملكتين على مصر، وأرسل وفدًا إلى روما برئاسة الفيلسوف الأكاديمي «ديو» كي يطلب من مجلس الشيوخ الاعتراف بهما، لكن يبدو أن ذهب «بطليموس» كان له النفوذ الأكبر في نفوس الشيوخ، فرفضوا هذا الطلب تمامًا، حيث دافع عنه «كيسيرو» بخطب مؤثره كما وصفه يوليوس قيصر، زعيم الحزب الشعبي، بأنه صديق للشعب الروماني.

وظل «الزمار» يدفع كل ما أوتي من أموال كي يستميل عقول زعماء روما ويرضي أطماعهم ريثما يستطيع أحد أن يعيده مرة أخرى إلى عرش مصر بشكل غير قانوني وخارج قرارات مجلس الشيوخ مقابل المال. حينها قام «كيسيرو» بمراسلة «لينتولوس»، حاكم كليكيا بآسيا الصغرى، وطلب منه نيل شرف إعادة بطليموس الزمار للعرش، وبعث «الزمار» نفسه برسائل لـ«جابينيوس»، حاكم سوريا الروماني، وعرضوا عليه أن يقود جيشًا رومانيًا يعيد «الزمار» إلى حكم مصر مقابل مبلغ ضخم.

رفض «جابينيوس» التحرك خطوة للأمام والقيام بتلك المهمة إلا حين يدفع بطليموس الزمار المبلغ كله مقدمًا، لكن «الزمار» قد أوشك

maktabbah.blogspot.com

ماله على النفاد فلم يكفه كل هذا الهوان فقرر الاستدانة وأخذ يبحث عن ثري روماني يموّل حملته، حتى وقع الاختيار على شخص يُدعى رابيريوس بوستوموس. وبعدما حصل «جابينيوس» على ما أراد، تحرك بالجيش صوب مصر عام ٥٥ ق. م بحجة الدفاع عن النفس بسبب خطورة الأسطول المصري على سوريا. وما إن وصل الجيش الروماني إلى حدود مصر الشرقية، حتى انسحبت الحامية اليهودية المقيمة عند بليوزيوم فاتحةً لهم المجال لدخول مصر، تنفيذًا لرغبة انتيباتر الأدومي ، آخر ملوك الحشمونيين بـ«يهودا» ودخل الزمار مصر وأعاد عرشه مرة أخرى.

*****

«كليوباترا» و«قيصر» واليهود

رحل «الزمار» عن العالم في عام ٥١ ق. م، تاركًا عرش مصر بين «كليوباترا السابعة» وأخيها «بطليموس الثالث عشر»؛ حيث كعادة أسلافهما دار بينهما صدام على أحقية الحكم، حتى وصل الأمر إلى مسامع يوليوس قيصر، فجاء بقوة ليست بكبيرة فوجد حكم مصر خاليًا، حينها نصب نفسه حكمًا بين الطرفين، لكنه ما إن رأى سحر «كليوباترا» وحسنها حتى افتتن بها وسقط في براثنها، وأقر للملكة بحكم البلاد على أن يكون أخوها مشاركًا لها.

لكن رجال البلاط شعروا بمدى التدخل الروماني في الحكم ورفضوا تنفيذ توصيته، واستغلوا قلة عدد جنوده الذين جاء بهم، فحشدوا الجيش وأعلنوا الحرب ضد ذاك الدخيل الأجنبي، حتى وصل عددهم إلى نحو عشرين ألفًا، من بينهم كتائب «جابينيوس» التي بقيت وألفان من الفرسان. ودارت الحرب برحاها فيما عُرفت بحرب الإسكندرية حتى كادت تقضي على يوليوس قيصر وتفقده حياته، وحاول الثوار قطع الاتصال بين قواته المتمركزة عند الحي الملكي وجيوشه بسوريا، حتى جاءه المدد عام ٤٧ ق. م حين فتحت الحامية اليهودية حدودها مرة

ثانية بعدما وجدوا فيه نزعة المنتصر وأدخلوا قواته القادمة من سوريا، ولم تتحرك قوات «ليونتوبوليس» اليهودية وتمنع الغزاة الرومان من التوغل داخل مصر، فتمكن يوليوس قيصر من حصار الإسكندرية واستولى على العاصمة كلها منتصرًا على خصومه. ويذكر لنا «يوسيفوس» أن يوليوس قيصر قد منح اليهود هديَّة جزَّاء تلك المساعدة، فأعطاهم نقشًا يعترف فيه بحقهم في المواطنة، وهو أمر لم يذكره سوى «يوسيفوس» وإن كان يشبه ما قدمه «بلفور» لليهود في القرن الـ٢٠م بأن من لا يملك أعطى من لا يستحق.

في تلك الأجواء العصيبة، أصيبت الإسكندرية بمجاعة كبيرة، قامت على أثرها «كليوباترا» بتوزيع القمح على مواطنيها، لكنها تلك المرة استبعدت السكان اليهود من حصص توزيع القمح، بعدما تأكد لها خيانتهم المستمرة، فقد فاحت سمعة اليهود، وتصاعد كره المصريين والإغريق لهم بعدما رأوا فيهم قومًا لا يعملون إلا لصالحهم ولا يدينون بأي ولاء إلا لمن يدفع لهم، وتأكدت خيانتهم لمصر والمصريين مرتين في أقل من عشر سنوات.

*****

ماذا فعل الرومان باليهود؟

بدأ ميزان القوى يتغير حينما مالت كفة النصر ناحية القائد «أوكتافيوس»، فقد بدأ الحرب بدعايا عارمة ضد مصر وادَّعى أنها بلد السحر والشعوذة، حيث يُقدَّم البشر قربانًا وتحدث أفعال يعجز اللسان عن شرحها، وأبحر بأسطوله لمحاصرة الإسكندرية ونجح في نسف أسطول «كليوباترا» وحبيبها ماركوس أنطونيوس في خليج أكتيوم عام ٣٠ ق. م، وخان التوفيق كلًا منهما بعدما أصيب عدد كبير من رجال الأسطول بالملاريا وسقطت مصر كلها في يد الرومان. أما اليهود، فما إن رأوا هزيمة «كليوباترا» وتأكدوا من ضياع دولتها، حتى رحبوا بالمنتصر الجديد وسارعوا إلى كسب ود إمبراطور روما والعالم

maktabah.blogspot.com

واصطفوا على جانبي موكب جيش الرومان يهللون بدخولهم الإسكندرية ويهتفون باسم القيصر أوكتافيوس الذي غير اسمه إلى «أوغسطس»، أي: اللامع.

*****

ملك اليهود المفلس

مع تثبيت حكمه في مصر، اعتمد القيصر الجديد على الهيكل الإداري نفسه الذي ساد على أيدي أسلافه البطالمة، فمنح الإسكندرية مكانة مميزة، لكنه كان داهية سياسية، فاعتمد على سياسة التفرقة بين السكندريين واليهود كي يضمن عدم تحالفهم ضد حكمه، وألغى ضريبة الرأس التي كانت مفروضة على السكندريين، كما سمح لهم بتكوين مجلس شيوخ خاص لتناول قضاياهم.

بدأ اليهود يتحسسون كرمًا من الحاكم الجديد لتحسين أوضاعهم، وحاولوا بكل طرق الدهاء والتودد الحصول على حق المواطنة لتثبيت حقوقهم، ولكن جاءت قراراته على غير رغبتهم الطامعة، فعلى الرغم من أنه سمح لهم بتكوين مجلس نيابي خاص بهم وإقرار الامتيازات البطلمية التي حصلوا عليها من قبل، فإنه فرض عليهم ضريبة الرأس كاملة. ولم يكن هناك أمر يؤلم اليهود قدر صرفهم للمال، لكنهم ابتلعوا تذمرهم طيلة عهد «أوغسطس» وخليفته «تيبيريوس». فقام اليهود بادعاء حق المواطنة وأصبحوا يترددون على جيمانيزيوم المدينة ويقحمون أنفسهم في مبارياته وتدريباته عنوة تارة ودهاء تارة أخرى، ما أدى إلى نشوب احتكاك وصل إلى حد العراك العنيف بين السكندريين واليهود حول حق المواطنة.

دعونا نَطِر إلى «يهودا» بفلسطين؛ حيث تكونت مملكة من أسرة جديدة على أنقاض الحشمونيين، وهي أسرة «هيرودس». فبعد أن سقطت «يهودا» الحشمونية في يد الفرثيين الفرس، أصبحوا ينصبون ملوكها حسب رغباتهم، وكان «أنتيجونس» الحشموني، آخر ملوكهم،

maktabah.blogspot.com

قد حاول التمرد ضد روما التي حكمت العالم، لكنه فشل نظير خيانة «هيرودس» اليهودي، الذي كان أحد رجال روما، فتم القبض على «أنتيجونس» وإعدامه، بينما تمت مكافأة «هيرودس» وتنصيبه ملكًا على «يهودا»، وعُرف باسم «هيرودس الأكبر».

اتسم حكم «هيرودس» بالعدوانية الشديدة، حيث قمع الجماعات اليهودية المعارضة له، فقد كان قاسي القلب عديم الشفقة يسعى وراء مصلحته ولا يتراجع مهما كانت الخسائر، حتى إنه قد بلغ به الأمر في تعلقه بالعرش إلى أنه قتل عدة زوجات وأبناء وأقارب خوفًا من مؤامراتهم عليه، ومع اقترابه من السبعين من عمره، انتشرت النبوءة بأن ملكًا جديدًا من نسل «داوود» سيولد في بيت لحم. فتعاظم غضب «هيرودس» وأمر بقتل كل أطفال بيت لحم مِمَّن دون العامين من العمر كي لا يخرج منهم من ينازعه في الحكم، ولكن الوقت لم يمهله كثيرًا؛ إذ مرض مرضًا خطيرًا. بينما وُلد الطفل بمعجزة إلهية، ليكون المسيح عيسى ابن مريم، عليه السلام. وخافت عليه أمه العذراء من بطش «هيرودس» فهربت به إلى مصر بصحبة يوسف النجار في رحلة مقدسة، حيث بقيا فيها نحو عامين حتى وفاة «هيرودس» ليعودا إلى الناصرة مرة أخرى.

وخلف «هيرودس الكبير» ابنه «هيرودس أنتيباس»، الذي كان مثل أبيه ربيب روما، لكنه دخل في صدام مع أخيه «أرخيلوس» وأقنع رجال روما بولائه التام لهم، فأعلنه مجلس الشيوخ ملكًا على «يهودا» التابعة للرومان. وجاء من بعده ابن أخيه «أجريبا» وقد عرفه السكندريون يهوديًا وضيعًا مفلسًا بسبب تبذيره، يستدين من وجهاء المدينة ويفر من دائنيه، حتى لجأ إلى «لوسيماخوس»، الثري اليهودي مدير الضرائب شقيق المؤرخ «فيلون»، فمنحه ما يسد ديونه ويمكّنه من الهرب إلى روما.

وهناك نجح في إقناع الإمبراطور «كاليجولا» بجعله ملكًا على أقاليم الجولان وحوران وبتانيا وتراخونيد إلى الشمال الشرقي من يهودا

makrabah.blogspot.com

الهيرودية، وتبدل حاله من مدين إلى ملك. وحاول «أجريبا» أن يعود إلى ملكه الجديد عن طريق بلاد الإغريق متفاديًا العبور عبر الإسكندرية، فكانت سمعته وسط سكانها سيئة إلى أبعد مدى. لكن الإمبراطور أوصى بأن يبيت في الإسكندرية ثم يستأنف رحلته، فلم يكُن «كاليجولا» يثق بـ«فلاكوس»، الحاكم الروماني لمصر، وأراد من «أجريبا» أن يراقبه سرًا. فما إن هبط «أجريبا» أرض العاصمة، حتى انتشر الخبر بين يهود المدينة واعتبروا تلك الزيارة دعمًا نفسيًا لهم وطلبوا منه أن يتجوَّل في المدينة وسط حراس باعتباره ملكًا. فما إن رأى كبراء السكندريين هذا الأمر حتى أوعزوا لـ«فلاكوس» بأن هذا اليهودي قد تجرأ على مظهر الإمبراطور المقدس ويريد أن يتشبَّه به، وكانوا يعرفون أنه رجل مرتشٍ لا يهمه سوى جمع المال بأي طريقة، واستغلوا حالة الغضب المنتشرة والمتراكمة ضد اليهود وبدؤوا يضعون تماثيل الإمبراطور داخل هياكلهم باعتباره ربًا بدلًا من رب اليهود، وإذا تمت إزالتها فإنهم يعدون خارجين عن القانون رافضين لحكمه المقدس. وجاءت الرشوة بنتائجها، حيث صمت «فلاكوس» عمَّا فعله كبراء المدينة من أجل إنجاح خطتهم لكسر اليهود.

ويروي لنا المؤرخ «فيلون» اليهودي حنق المصريين من ملكهم المفلس؛ فلم يستطيعوا أن يعبروا عن هذا الحنق بشكل معلن، ولكن حس الدعابة المصري والسخرية المستترة مكَّنهم من هذا الأمر.. فكان في تلك الفترة رجل مخبول يُدعى «كراباس» ذو سلوك خطر يمشي في الطرقات عاريًا ويهدد المارة، بينما كان الأطفال والعامة يسخرون منه. فجاء بعض الجموع بهذا الرجل وحملوه نحو الجمانيزيوم وألبسوه تاج الملك من البردي على رأسه ورداءً رثًا وجعله يمسك عصا من البردي وكأنها صولجان، وحملوه على أكتافهم وطافوا به في المدينة واصطفوا حوله كأنهم حرسه الملكي وهم يهللون ساخرين بكلمة: «مارين... مارين»، أي: السيد، وهي كلمة سريانية يُسقطون بها على «أجريبا» وهم يعلمون أنه سيفهم الرسالة.

maktabah.blogspot.com

اليهود يحرقون الإسكندرية

وجاء عام ٣٨م لتبدأ نار اليهود في إشعال المدينة، فعلى الرغم من سخطهم من تطاول الإغريق على هياكلهم، فإنهم قاموا بإزالة تماثيل الإمبراطور وقاوموهم دون أسلحة، فاندلعت أعمال العنف بين طرقات الإسكندرية وعمد الإغريق إلى حرق بيوت اليهود ومعابدهم وتخريبها. وما إن وصل الأمر إلى «فلاكوس» حتى أصدر حكمه بتجريد اليهود من مزاياهم داخل الإسكندرية وعدم اعتبارهم مواطنين سكندريين، وبالتالي لم يعُد هناك مجلس شيوخ أو جالية تحميهم من تلك المصادمات. ونعرف أخبار تلك الفترة العصيبة على اليهود مما كتبه «فيلون»؛ حيث تباكى على ما حدث لبني جلدته، فيذكر لنا في كتابه الذي لعن فيه «فلاكوس» أنه تم حبس اليهود في حيهم دون أن يغادروه، بينما امتدت نيران غضب السكندريين إلى متاجرهم واقتحام منازلهم بحثًا عن أسلحة وقتل وسحل المئات منهم. بل وصل الأمر إلى اختطاف نساء اليهود واقتيد بعضهن إلى ساحات الملاعب لإجبارهن على أكل لحم الخنزير كنوع من الإذلال والسخرية، وما كان من النساء إلا أن أطعن الأمر من أجل النجاة بحياتهن.

وما إن وصلت تلك الأنباء إلى الإمبراطور حتى وجد عاصمة إقليمه المفضل تحترق والدماء فيها تُسفك، فأمر بالقبض على «فلاكوس» بتهمة الإهمال العمدي وترك المدينة في حالة خراب، فنزلت إلى الإسكندرية قوة لتقبض عليه سرًا حتى لا يعمد إلى جمع رجاله والاحتماء بالإسكندرية، وتسللوا إلى مجلسه ونجحوا في القبض عليه وترحيله إلى روما وهناك تم إعدامه.

مرت أعوام من الهدوء على يد الإمبراطور الجديد «كلاوديوس»، فقد عمد إلى إعادة امتيازات اليهود مرة أخرى إرضاءً لهم ومحاولةً لوقف غضبهم، ولكن لم يرض اليهود بالمزايا التي تمتعوا بها، وحاولوا إشعال نار الفتنة من جديد، فقام شيوخ اليهود باستحضار أقوام من «يهودا»

maktabbah.blogspot.com

من أجل زيادة أعدادهم في مصر والانتقام من السكندريين لما أقدموا عليه طيلة السنوات السابقة، لكن حاكم المدينة الجديد كان أكثر حزمًا وقوة من سابقه، ولم يرد أن يؤول مصيره إلى ما آل إليه مصير «فلاكوس»، فوأد الفتنة في مهدها ولم يسمح بأي مصادمات.

وما إن هدأت الأوضاع، حتى قام طرفا الأزمة، السكندريون واليهود، بإرسال سفراء من كل طرف للإمبراطور «كلاوديوس» كي يشرحوا له القضية؛ حيث مثل السكندريين كلّ من «إيزيدورس»، كبير الجمانيزيوم السكندري، ومعه «لامبونس»، وفي المقابل كان رئيس السفارة اليهودية هو «أجريبا» نفسه الذي كان يحظى بتأييد كبير من الإمبراطور. ونعرف أخبار تلك المواجهة الساخنة أمام الإمبراطور من خلال مخطوطات تُعرف باسم «أعمال الشهداء السكندريين» نشرت بعض أجزائها في القرن الـ١٩م؛ حيث تحول موقف «إيزيدورس» ورفيقه إلى موقف الجاني، وعرضهما للمحاكمة أمام الإمبراطور، لكن هذا لم يمنعه من الدفاع عن نفسه وعن مدينته الباسلة ضد افتراءات «أجريبا» وأتباعه اليهود، فنعت الإمبراطور «إيزيدورس» بأنه «ابن المغنية» لكنه رد بقوة بأنه ليس عبدًا أو ابن مغنية لكنه من أرباب الجمانيزيوم السكندري العريق، ثم استدار نحو «أجريبا» وأشار إليه بأنه ابن منبوذ لـ«سالومي» اليهودية، ولا يساوي شيئًا. حينها استشاط الإمبراطور غضبًا بعدما أهانا تابعه اليهودي وأمر بإعدامهما.

وما إن بلغت تلك الأخبار إلى الإسكندرية، حتى شعر اليهود بقدر من النصر، وانطلقوا يجمعون السلاح رغبةً في الانتقام من أهل الإسكندرية. وساعدهم في ذلك الأمر بقية يهود مصر من أجل إدخال كميات مهولة من السلاح داخل المدينة كما استقدموا عددًا من يهود فلسطين لدعمهم؛ حيث كانوا يحتكرون صناعة الأسلحة لصالح الحاميات الرومانية، لكن السلطات قد سلبت منهم هذا الحق بعدما شعرت بمدى خطورتهم، فأصبح تهريب السلاح يتم بشكل سري ومنظم، حتى احتدم القتال، لكن السلطات نجحت في تقويض الأمر.

maktabah.blogspot.com

وقد عثرنا على بردية لاتينية أخرى تحتوي على الرد الكامل للإمبراطور للمسألة اليهودية، وهي عبارة عن رسالة منه موجهة للسكندريين يرد فيها على مطالبهم بشأن تمجيده وتبجيله ومطلبهم له بشأن حق المواطنة وإقامة مجلس تشريعي خاص به، وكان جوابه على الرغم من تملصه لبقًا مجاملًا. ولكن ما إن جاء رده حول قضية اليهود، حتى بدلت لغته إلى الحزم والقوة، فأنذر كلا الطرفين بصرامة بأنه لم يصمت على أي مناوشات بينهم ويطالب السكندريين بحسن معاملة اليهود، في المقابل صرح تصريحًا خطيرًا لليهود بأن الإسكندرية ليست مدينتهم وهم ليسوا مواطنين فيها؛ لذلك يجب عليهم الرضوخ والرضا بما حصلوا عليه من مزايا ولن ينالوا ما هو أكثر من ذلك.

صعد إلى عرش روما إمبراطور جديد يميل إلى الخلاعة والمجون، تاركًا أمور الدولة تنساب من بين يديه، كان «نيرون» ذلك الإمبراطور. وما إن جاء عام ٦٦م تحت حكمه، حتى بدأت الأجواء داخل أورشليم تميل للغيوم، وتنذر بمصادمات جديدة. قام بعض الإغريق بذبح أضاحٍ أمام هيكل اليهود في أورشليم وتدنيس أعتابه، ما أثار حفيظة اليهود فاتجهوا للشكوى إلى قائد الحامية الرومانية، لكنه لم يحرك ساكنًا، كما انقسم المجتمع اليهودي إلى طبقة عليا تتبع الولاء إلى روما، ويهود متشددين يرفضون التدخل الوثني في أحوالهم وفقراء تُفرض عليهم ضرائب باهظة تقصم ظهورهم، فاشتعل فتيل الثورة بشكل دموي، وانطلق اليهود يخربون كل ما يخص الرومان، وسرعان ما اجتاح المتمردون الحامية العسكرية الرومانية في يهودا، وفر الملك هيرود أجريبا الثاني، الموالي للرومان، من أورشليم. فقام حاكم سوريا الروماني «جايوس» بتحريك جيشه لاستعادة النظام وقمع التمرد، لكن قواته تعرضت لكمين وهُزم من المتمردين اليهود في معركة بيت حورون؛ حيث ذُبح ٦٠٠٠ روماني.

فما إن وصلت تلك الأخبار المزعجة إلى الإمبراطور نفسه حتى شعر بالخطر الشديد وأمر بتحريك كل الحاميات الرومانية المعسكرة في

maktabah.blogspot.com

مصر لضرب ذلك التمرد. وبسبب هذه الهزيمة المفاجئة استبدل الإمبراطور «نيرون» بحاكم سوريا حاكمًا جديدًا هو «موكيانوس» وأرسل إلى «يهودا» القائد المحنك «فسبسيان» مصحوبًا بفيلقين، بالإضافة إلى فيلق قادم من الإسكندرية بقيادة ابنه «تيتوس»، فقام بحصار أورشليم حيث تحصن الثوار اليهود، وعلى الرغم من انسحاب «فسبسيان» إلى روما بعد مقتل «نيرون» فإن «تيتوس» أكمل حصار أورشليم ونجح في عام ٧٠م في اقتحامها، وكما نسف «نبوخذ نصر» المدينة وخرب الهيكل الأول، قام «تيتوس» بتدمير أسوار المدينة وحرق مبانيها، ووجد نفسه أمام الهيكل الثاني المتحصن به الثوار اليهود، فأضرم فيه النيران وسرق جنوده محتوياته حتى أصبح الهيكل الثاني حطامًا.

شعر يهود مصر حينها بالتشجيع وانطلقوا في ثورات بشوارع الإسكندرية وغيرها، وحاول حاكم مصر يوليوس إسكندر أن يحتوي الموقف بالحسنى، إلا أن الأمر قد خرج من يده وتمادى اليهود في أعمالهم الإجرامية، فاستدعى الأمر استدعاء قوات رومانية كانت متجهة إلى «يهودا»، كما أمر بجلب قوات إضافية من «نيقوبوليس» فنزلوا بكامل عتادهم وضربوا اليهود بيد من حديد، فأحرقوا بيوتهم ونهبوا ممتلكاتهم.

وما إن جاء عهد الإمبراطور «تراجان» وأشرقت شمس عام ١١٥م، حتى كانت نيران الثورة اليهودية قد امتدت بعنف داخل الإسكندرية وخارجها، وعلى الرغم من أنها أخمدت بسرعة في الإسكندرية فإنها ظلت مشتعلة ثلاثة أعوام في صعيد مصر من نهاية الدلتا إلى مدينة «هرموبوليس» بصعيد مصر، وظل صعيد مصر ميدانًا لحرب عصابات خلال تلك الأعوام الثلاثة. وقد ظل المصريون، في بعض مناطق مصر الوسطى، يتذكرون أحداث تلك الثورة على الرغم من مرور مائة عام على اشتعالها. وظل المصريون في تلك المناطق يذكرون الرومان بصداقتهم عندما حاربوا معهم جنبًا إلى جنب ضد اليهود، وظلت ذكرى

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

إخماد تلك الثورة احتفالًا للمصريين على الرغم من مرور مائة عام على حدوثها، فقد كانت ثورة مدمرة حمل اليهود فيها السلاح المنظم ضد الفيالق الرومانية وعاثوا بريف مصر يهلكون الزروع ويحرقون البيوت ويدمرون الطرق ويخربون الممتلكات.

ظهر على مسرح الأحداث في تلك الأحيان ببرقة يهودي يُدعى «لوكواس»، كان أحد قادة الثورة واعتقد في نفسه أنه مخلّص اليهود وزعيم العالم، وعمل على جمع الناس حوله، فكان يخطب فيهم بعبارات رنانة يحثهم على مقاومة الرومان واستثارة الحس الديني لدى جموع اليهود حوله، فالتف حوله آلاف اليهود وقرروا الزحف إلى مصر، فنجح في دخول الإسكندرية وأضرم النار في معابدها وقت انسحاب القوات الرمانية، فعاث الجنود اليهود في المدينة فسادًا ينتقمون لما جرى لهم، فقتلوا من الرومان والإغريق والمصريين وأراقوا بحور الدماء دون أن يفرقوا بين أحد، وأصبحت الإسكندرية، حاضرة الإغريق ومنارة الحضارة، جمرة نار تشتعل وتسيل في شوارعها أنهار الدم. ولكن سرعان ما أرسل الإمبراطور أحد أفضل قادته ومستشاره العسكري لإدارة تلك المعركة الدموية، وهو مارسيوس توربو، ومعه أقوى رجال الحرس الإمبراطوري، وعلى الرغم من صعوبة الموقف في البداية، فإنه نجح في تقويض قوة اليهود والقضاء على تمردهم مع قدوم خريف عام ١١٧م.

وبعد اختفاء «لوكواس» عن الأحداث، ظهر بـ«يهودا» شخص آخر له الميول الزعامية نفسها اسمه شمعون باركوخبا، وقام بتهييج شهب اليهود متحججًا بإقامة الرومان معبدًا للرب «جويبتر» مكان الهيكل المقدس في أورشليم، وسريعًا ما لاقت دعوته انتشارًا من وسط «يهودا» إلى بقية المدن المحيطة، فقطعت الإمدادات عن الحامية الرومانية في أورشليم، وحاول الحاكم الروماني التصدي لتلك الهجمات، إلا أنه فشل، في الوقت الذي تحول فيه «باركوخبا» في نظر اليهود إلى مخلصهم وأطلقوا عليه اسم «ناسي إسرائيل»، أي: أمير

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

إسرائيل، وهو لقب «المشيا» المخلص. فما كان من الإمبراطور «هادريان» إلا أن جمع قوى عسكرية من أنحاء الإمبراطورية كلها، تولت غزو «يهودا» وإخماد تلك الثورة الدموية. فدخلت القوات أورشليم وأبادت أكثر من نصف مليون يهودي ومن بقي منهم عانى الجوع والفقر والبرد القارس، وسيق الآلاف منهم أسرى حرب ليباعوا عبيدًا للإمبراطور ورجاله. فكان الذين بيعوا من اليهود في أسواق الرقيق من الكثرة بحيث انخفض ثمن الواحد منهم حتى ساوى ثمن الحصان. واختبأ الآلاف منهم في سراديب تحت الأرض، مفضّلين ذلك على الأسر.. ولما أحاط بهم الرومان هلكوا من الجوع واحدًا بعد واحد، وكان الأحياء منهم يأكلون جثث الموتى، وأصبحت تلك البقعة تابعة للإمبراطورية الرومانية تبعية مباشرة تحت اسم «إيليا كابيتولينا» ومُسح اسم «يهودا» تمامًا ومُنع اليهود من دخول أورشليم إلا في يوم واحد محدد في العام يُسمح لهم فيه بالمجيء ليبكوا أمام خرائب الهيكل.

وعلى الرغم من أن اليهود في مصر حاولوا أن يوقظوا جذوة الفتنة بعض الشيء فإنها سريعًا ما أخمدت، وضُربت عليهم المذلة والمسكنة، فابتعدوا عن المناصب العامة وظلوا شتاتًا في عزلتهم. وهكذا اختبأت اليهودية في ظلمات الخوف والفزع ولم تقم لليهود قائمة بعدها طيلة تاريخ العالم القديم.

«صار السيد كعدو ابتلع إسرائيل، ابتلع كل قصوره، أهلك حصونه».
سفر «إرميا» (٢: ٥).

maktabbah.blogspot.com

*****

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

تعريفات يهودية

اليهودية:

نسبة لـ«يهوذا»، رابع أبناء «يعقوب» النبي، ومنها مملكة «يهوذا» التي انفصلت عن مملكة إسرائيل الشمالية. وشاعت التسمية إبان السبي البابلي لتعبر عن الأمة بعد سقوط المملكتين، وأصبحت تعبر عن معتنقي العقيدة التي جاء بها النبي «موسى».

العبرانيون:

هو اللفظ الذي أطلقه الكنعانيون على النبي «إبراهيم» عليه السلام وأمته؛ حيث إنهم أول من نُعتوا بالعبرانيين نظرًا لعبورهم نهر الفرات ثم نهر الأردن، وهي «عفريم» في اللغة العبرية، وهو اللفظ الذي استخدمته التوراة في وصف هذه الأمة.

الصهيونية:

حركة سياسية قادها تيودور هيرتزل في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، نسبةً لجبل صهيون المطل على مدينة أورشليم (القدس)، وقد ذُكر في التوراة باعتباره موقعًا حصينًا احتله «داوود» عند سيطرته على المدينة.

maktabbah.blogspot.com

إسرائيل:

هو اسم النبي «يعقوب» في التوراة، حين أمره الرب باختيار اسم بديل بعدما تغلّب على ملاك الرب عند «يبوق» وهو حاليًا نهر الزرقا

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

بالأردن. والكلمة تنقسم إلى «إسرا»، أي: عبد أو مجاهد أو حكم، و«إيل» أي: الرب، وبالتالي يعني الاسم مجاهد الرب أو تابع الرب. ورث أبناء «يعقوب» ونسله عنه تلك الكنية وأصبحوا بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وحتى تأسيس مملكة إسرائيل الموحدة على يد الملك «شاؤول».

الأسباط:

هم نسل النبي «يعقوب» الذين سُموا بني إسرائيل، وهم ١٢ سبطًا يُنسبون لأولاد «يعقوب» الاثني عشر، وهم: «يوسف» و«بنيامين» من «راحيل»، و«روبين» و«يهودا» و«لاوي» و«شمعون» و«زبولون» و«ياساكر» من «ليا» أخت «راحيل»، و«دان» و«نفتالي» من «بيلها»، و«جاد» و«عشير» من «زيلفا».

التوراة السبعينية:

هي نسخة التوراة المترجمة إلى اليونانية، التي تمت في القرن الثالث قبل الميلاد؛ حيث تمت بأمر من بطليموس الثاني لرغبته في وضع نسخ من كتب اليهود بمكتبة الإسكندرية مع تزايد أعداد اليهود بالإسكندرية وعدم معرفة بعضهم القراءة سوى بالعبرية، فكلف ٧٢ حَبرًا من أحبار اليهود قادمين من أورشليم إلى مصر يمثلون جميع الأسباط الاثني عشر بالترجمة.

maktabbah.blogspot.com

التلمود:

هو كتاب تعليم الديانة اليهودية وتدوين لنقاشات حاخامات اليهود حول الشريعة اليهودية من الأخلاق والأعراف وقصص موثقة من

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

التراث اليهودي. ويتكوَّن التلمود من المشناه، وهي النسخة المكتوبة من الشريعة، التي كانت تتناقل شفهيًا، والجمارا، وهي المناقشات التي دارت حول المشناه طيلة ثلاثة قرون بعد عام ٢٠٠ قبل الميلاد.

التناخ:

هو لفظ اختصاري بالعبرية للأفرع الثلاثة المكونة للعهد القديم، وهي: التوراة، وهي الأسفار الخمسة الأولى (التكوين والخروج والتثنية والأعداد واللاويين)، وأسفار الأنبياء أو نبييم، وهي تنقسم إلى أسفار الأنبياء الأوائل والأنبياء الأواخر، وهي ٢١ سفرًا، وأسفار الكتابات أو كيتوفيم، وتبلغ ١٣ سفرًا، ليبلغ مجموع التناخ ٣٩ سفرًا.

مخطوطات البحر الميت:

مجموعة من المخطوطات المكتوبة على أوراق البردي أو صحائف جلدية أو ألواح من النحاس تصل إلى ما يزيد على ٨٥٠ قطعة مكتوبة بالعبرية والآرامية، وقليل منها باليونانية، عُثر عليها في خرائب وادي قمران بالبحر الميت عام ١٩٤٧م، وكانت تخص طائفة الأسينيين اليهودية التي انعزلت عن بقية المدن اليهودية في الفترة ما بين القرن الثاني والقرن الأول قبل الميلاد.

الحشمونيون:

هو لقب لُقِّبت به العائلة المكابية نفسها، التي سُميت عائلة حشمناي، ومنها جاءت تسمية المكابيين بالحشمونيين، وقد حكمت منطقة يهودا والمناطق المحيطة بها بين نحو عام ١٤٠ وعام ١١٦ ق. م بشكل شبه مستقل عن حكم السلوقيين.

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

«يوسيفوس» اليهودي:

مؤرخ يهودي عاش في كنف الدولة الرومانية عام ٣٨م ونال جنسيتها، وكان اسمه الأصلي يوسف بن ماتاتياهو، واشتهر بكتبه التي تدافع عن أمة اليهود وتسرد تاريخ منطقة «يهوذا» والتمرد اليهودي على الإمبراطورية الرومانية والتي تلقي الضوء على الأوضاع والأحداث في مملكة «يهودا» وانهيارها.

منطقة «يهودا»

هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي فلسطين، وهو الاسم المذكور في الكتاب المقدس لتلك البقعة، وعُرفت باسم مملكة «يهوذا» بعد تفكّك مملكة إسرائيل المتحدة، و«يهود» إبان السبي البابلي و«يهود مديناتاً» خلال عهد الفرس الأخمينيين، ثم أصبح الاسم الشائع لها هو «يهودا» خلال العصر الرومانى ، وترجع التسمية الى يهوذا ، الابن الرابع للنبى يعقوب

بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة
www.maktabbah.blogspot.com

المراجع والمصادر

أولًا: المصادر العربية والمترجمة

1. إبراهيم نصحي، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة. القاهرة، ١٩٥٩.

2. أحمد سعد الدين، فرعون ذو الأوتاد ـ تهويد التاريخ والأرض والتراث وأكذوبة الأرض الموعودة. القاهرة، ٢٠١٥.

3. جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا. القاهرة، ١٩٩٦.

4. جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. ترجمة: عادل زهير. مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢.

5. جيمس هنري بريستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال. مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠.

6. جيمس هنري بريستد، فجر الضمير. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.

7. حسن طوكار، باسم عليل. موقف الدولة اليونانية من اليهود ٣٣٣ - ٣٠ ق. م، مجلة البصرة للعلوم الإنسانية ـ جامعة ذي قار. العدد ٣ (أ) المجلد ٤٣، ٢٠١٨.

8. حسين الشريف، فلسطين من فجر التاريخ إلى القرن الأول الميلادي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣.

9. حسين يوسف، حسن الإبياري، تاريخ وآثار مصر في عصر الرومان. الفيوم، ٢٠٠٤.

10. دونالد ردفورد: مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة. ترجمة: بيومي قنديل. القاهرة، ٢٠٠٤.

maktabah.blogspot.com

11. رمضان عبده، تاريخ مصر القديم. القاهرة، ٢٠٠١.

12. زاهي حواس، أهرامات مصر: هضبة الجيزة: أبو الهول. نهضة مصر، ٢٠٠٩.

13. زاهي حواس، عائلة الملك خوفو. القاهرة، ٢٠٠٩.

14. سليم حسن، موسوعة مِصر القديمة. الجزء الرابع عشر. القاهرة، ١٩٩٠.

15. سليم حسن، موسوعة مِصر القديمة. الجزء السابع. القاهرة، ١٩٩٠.

16. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة. الجزء الثالث. المركز المصري للبحوث، ١٩٩٩.

17. سيد فرج رشيد، اليهود في العصر الهيلينستي. حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، الجزء الأول، ١٩٩٦.

18. شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين. مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧.

19. شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات عند اليهود، الكتاب الأول: مكتبات وادي قمران. مركز الكتاب للنشر، ٢٠١٤.

20. عاطف عزت، فرعون موسى من قوم موسى. القاهرة، ٢٠١٦.

21. عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مِصر القديمة. القاهرة، ٢٠٠٠.

22. عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة. القاهرة، ٢٠١١.

23. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق. القاهرة، ١٩٩٧.

24. عبد المحسن الخشاب، تاريخ اليهود القديم بمصر. القاهرة،

maktabah.blogspot.com

١٩٨٩.

25. عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية. الجزء الرابع. القاهرة، ١٩٩٩.

26. عبده عرفة علي، يهود مصر منذ عصر الفراعنة وحتى عام ٢٠٠٠. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

27. العهد القديم: أسفار التكوين والخروج والملوك والقضاة وإرميا.

28. فتحية حسين عقاب، العلاقات بين الأنباط واليهود في ميزان الدولة الرومانية من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي. الرياض ٢٠١٤.

29. القرآن الكريم: سورتا البقرة ويوسف.

30. لويس جنزبرج، الجزء الثالث (أحداث وشخصيات العهد القديم من الخروج إلى وفاة موسى) ترجمة: حسن حمدي السماحي. دار الفكر العربي القاهرة/ دمشق، ٢٠٠٦.

31. لويس جنزبرج، الجزء الثاني (أحداث وشخصيات العهد القديم من يوسف إلى الخروج)، ترجمة: حسن حمدي السماحي. دار الفكر العربي القاهرة/ دمشق، ٢٠٠٦.

32. لويس جنزبرج، أساطير اليهود، الجزء الأول (أحداث وشخصيات العهد القديم من بدء الخليقة إلى يعقوب). ترجمة: حسن حمدي السماحي. دار الفكر العربي القاهرة/ دمشق، ٢٠٠٦.

33. لويس جنزبرج، الجزء الرابع (أحداث وشخصيات العهد القديم من يوشع إلى إيستر) ترجمة: حسن حمدي السماحي. دار الفكر العربي القاهرة/ دمشق، ٢٠٠٦.

34. محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل. الجزء الثاني. الإسكندرية، ١٩٩٠.

maktabah.blogspot.com

35. مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي. القاهرة، ١٩٩٩.

36. نجيب ميخائيل، تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم. الجزء الأول. دار المعارف، ١٩٦٣.

37. والتر إمري، قاموس الكتاب المقدس (مصر وبلاد النوبة)، ترجمة: تحفة حندوسة. القاهرة، ١٩٧٠.

ثانيًا: المصادر الأجنبية

1. Barbara Cifola «Ramses III and the Sea Peoples: A Structural Analysis of the Medinet Habu Inscriptions» in NOVA SERIES, Vol. 57, No. 3 (1988), pp. 275-306.

2. Ben-Sasson, Haim Hillel, ed. A History of the Jewish People. Harvard University Press1976.

3. Bezalel Porten, Archives from Elephantine: The Life of an Ancient Jewish Military Colony, 1968.

4. Bleiberg, Edward. Jewish Life in Ancient Egypt: A Family Archive from the Nile Valley. Brooklyn, NY: Brooklyn Museum of Art 2002

❞ Breasted, J.H. Ancient Records of Egypt: histori ocuments from the earliest times to the Persian conquest. Chicago: The University of Chicago Press 1906.

6. Bright, John. A History of Israel. Westminster John Knox Press. 2000.

7. Cowley, Arthur, The Aramaic Papyri of the Fifth Century, Oxford: The Clarendon Press. 1923

8. Dothan, Trude K. & Moshe. People of the Sea: The search for the Philistines. New York: Scribner 1992.

9. Dothan, Trude K. The Philistines and Their Material Culture. Jerusalem: Israel Exploration Society 1982.

10. Eban, Abba. My people: the story of the Jews. Random House 1968.

11. Emil G. Kraeling, The Brooklyn Museum Aramaic Papyri, , Yale University Press 1953

12. H. A. Musurillo., The Acts of the Pagan Martyrs, (Acta Alexandrinorum) Vol. 11, No. 4, Brill publishing house, Nederlands. 1957.

13. Hawass, Zahi., mountains of the pharaohs: The Untold Story Of The Pyramid Builders. AUC press 2006.

14. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic Books/Free CopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/01_A/A_036.html.

15. Ibrahim M. Omer Investigating the Origin of the Ancient Jewish Community at Elephantine: A Review. online article 2008.

16. Isidore Singer, The Jewish Encyclopedia: 1906 Edition.

17. Joseph Mélèze-Modrzejewski, The Jews of Egypt,

Jewish Publication Society 1995.

18. Lindenberger, James M., and Kent H. Richards, eds. Ancient Aramaic and Hebrew Letters. Scholars P, 1994.

19. Malamat, Abraham «The Last Kings of Judah and the Fall of Jerusalem: An Historical – Chronological Study 1968.

20. Modrzejewski, Joseph M., and Shayne J.D. Cohen. The Jews of Egypt. Trans. Robert Cornman. Princeton UP, 1997.

21. Porten, Bezalel. Archives From Elephantine: the Life of an Ancient Jewish Military Colony. Berkeley and Los Angeles: University of California P, 1968.

22. Porten., Bezalel, The Elephantine Papyri in English Three Millennia of Cross cultural and Continuity and Change. New York 1996.

23. Redford, Donald B., The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt. Oxford University Press in 2001.

24. Ricciotti, G., The History of Israel, (vol 2). Milwaukee 1955.

25. Rollston, Chris A. Writing and Literacy in the World of Ancient Israel: Epigraphic Evidence from the Iron Age. Society of Biblical Literature 2010.

maktabbah.blogspot.com